

دَوَائِرُ الإِعَادَةِ وَمَرَاتِبُ الإِفَادَةِ

في شرح علوم الدين وأركانه الأربعة مجتمعة لا متفرقة

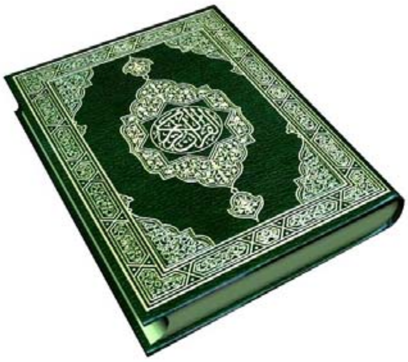
مع إعادة تحليل المسميات للعلوم من وجهة النظر الرباعية الشرعية

بقلم

خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

الصف: رائد يحيى عبد العال جدة الاثنين ١٠ رجب ١٤٣١هـ
المراجعة الأولى: أحمد الكاف ، عدن ٢٩ رجب ١٤٣١ ،
تم التشكيل + الآيات بالرسم العثماني + عزو الأحاديث للمصادر
تمت الإضافات والتعديلات الأخيرة بأحور ٢٧ ذو القعدة ١٤٣١هـ
ياسر أحمد
التعديلات الأخيرة بأحور ١٧ الحجة ١٤٣١هـ
التعديلات الاخيرة بجدة ٢١ذو الحجة ١٤٣١هـ
تعديلات ومراجعة : حسن الهادي - جده — ٢١ ذو الحجة ١٤٣١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

المطلع القرآني :

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ

- يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ (الأشراط والعلامات والكوارث في الامم)

- وَيُزَكِّيهِمْ (يدلهم على التربية الإيمانية الشرعية)

- وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ (الكتاب القرآن ، الحكم السنة)

- وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (في الجاهلية الأولى)

- وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ (عدول الأمة ورجال سندها المتصل خلال مراحل التحولات)

- وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

[سورة الجمعة]

المطلع النبوي :

(بَلِ ٱئْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً، وَهَوىً مُتَّبَعاً، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِه، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَوَامِّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلَىٰ الجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ).

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالُوا: يَا رَسُولَ ٱللّٰهِ.. أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: (بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ).

رَوَاهُ أَبُودَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ (٣٧٧٨)



شَاهِدُ الحَالِ :

عصبة الجيل المحلَّى بالأمل ... وشباب العلم في كل محل
مظهر التغيير في عصر الغثاء ... ومثال الخير أبطال العمل
أزف الوقت لوعي ثابت ... من معين الدين والشرع الأجل
قد كفانا ما عرانا من بلا ... وكفى الإسلام مشروع الفشل
عبث الأعداء في آمالنا ... وعدَا الشطار حرفاً وجمل
وسُلبنا خير ما قد خصنا ... رَبُنا المولى بهنَّات الجدل
وانتهى التفكير منا جملة ... كدمى الأطفال في أيدي الدول
لم نذق طعم السلام والرضا ... بل سقينا الخوف مشروعاً وحل
عاد عهد الرق مدعوم البغا ... في شعارات لها طعم العسل
نرشف السم الزعاف رغبة ... في حياة شابها سم وعل
أي عقل قد وعى مأساتنا ... وأولو العقل استُذِلَّوا بالكتل
كل حزب فرح في ذاته ... ويرى ما عنده أعلى مثل
كلما قلنا أفيقوا واذكروا ... وحدة الإسلام فالمطلوب جل
خلدوا للأرض مما سامهم ... من رضاب العجل والعجل أذل
ومتى المغشي يوماً قد صحا ... وهو في نومته ساجي المقل
يا بني الإسلام عودوا للهدى ... وادرسوا القرآن من حيث نزل
واقرؤوا سنة طه المصطفى ... بلسان عالمي قد أطل
يجمع الأركان جمعاً واحداً ... مثلما جبريل للهادي سأل

المؤلف

الإهداء :



- إِلَىٰ الَّذِّينَ عَلَّمُونِي وَأَرْسَوْا ثَوَابِتَ العَقْلِ وَالقَلْبِ وَالجَوَارِحِ
- وَإِلَىٰ الغُرَبَـاءِ الَّـذِينَ يُحْيُـونَ مَـا أَمَاتَ النَّاسُ
- وَإِلَىٰ المُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ مِـنْ أُمَّةِ القُرَآنِ وَالسُّنَّةِ
- وَإِلَىٰ كَافَّـةِ الـرَّاغِبِينَ فِي مُعَالَجَـةِ الإِحْبَاطِ وَالأَغْـلَاطِ الجَاثِمَـةِ

عَلَىٰ صُدُورِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي مَرْحَلَةِ الغُثَاءِ المُعَاصِرِ.

وَجْهُ التَّنَاوُلِ :

الحَمْدُ للهِ العَالِمِ بِالمَكْنُونَاتِ، وَشَاحِنِ المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ بِالآيَاتِ، وَفَاتِحِ أَبْوَابِ العَطَاءِ اللَّدُنِّيِّ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢].

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ نُقْطَةِ الإِنطِلَاقِ فِي عُلُومِ الإِبْلَاغِ وَالبَلَاغِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِٱللهِ القَائِلِ: (يَحْمِلُ هٰذَا العِلْمَ[١] مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ[٢]، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ وَٱنْتِحَالَ المُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ)[٣]. اللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَصِدْقِ يَقِينٍ وَسَلَامَةِ تَوَجُّهٍ وَتَفَهُّمٍ عَلَىٰ مُرَادِ ٱللهِ فِي عِبَادِ ٱللهِ وَآيَاتِ ٱللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

وَبَعْدُ ؛ فهٰذهِ رسالةٌ مختصرةٌ تشرحُ ما أَشَرْنا إليهِ في عنوان رسالتِنا "الإعادة" ، وهي تُعنىٰ بما جمعناه عن دوائرِ قواعدِ ومرتكزاتِ العلوم التي يجبُ العلمُ بها مجتمعةً ومتفرقةً، من خلالِ دراسةِ حديثِ جبريلَ المعروفِ بـ "أمِّ السُّنَّةِ"، وهو الحديثُ الذي ظَلَّتْ قراءتُه وظلَّ شرحُه محصوراً على ثلاثةِ ثوابتَ يُطلق عليها "أركانُ الدين" ، مع العلم أنّ الحديثَ مشتملٌ على أربعةِ أركانٍ وليس على ثلاثةٍ.

وعلى هذا الفهمِ الرباعيِّ جاءتِ الرسالةُ بقراءةٍ جديدةِ التناولِ عريقةِ التواصلِ بوَحْدَةِ الحديثِ الموضوعيةِ، تقومُ في عصرنا وزماننا بتجديدِ الدعوة إلى الله في وسائلِ التعليمِ الشرعيِّ وتجديدِ وسائلِ التزكيةِ، كما تهتمُّ بالعلومِ النظريةِ والتطبيقيةِ وربطها بالديانةِ، ثم تَعْرُجُ على كشفِ انحرافاتِ الأوعيةِ وفسادِ أساليبِ المعالجةِ الناطقةِ باسمِ الدين من خلالِ دراسةِ علمِ النقائضِ والنواقضِ وما يتعلقُ بها.

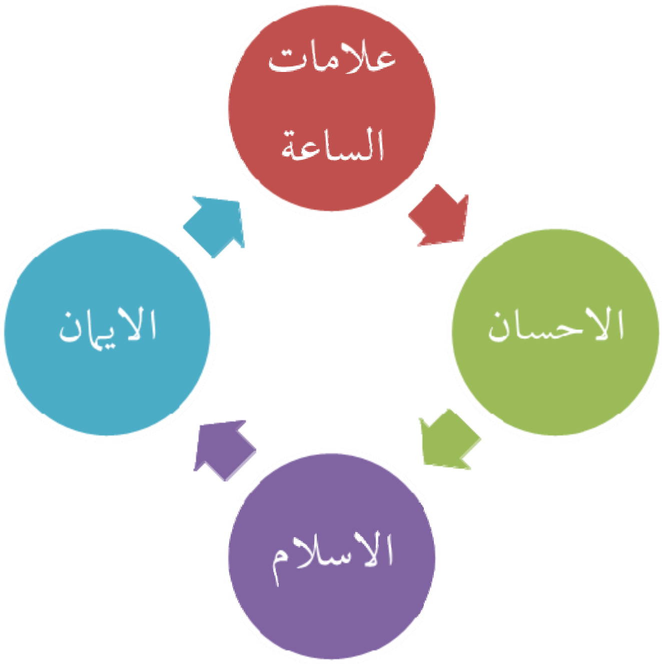
---

١) والعلم في أصوله المعروفة في حديث (أم السنة) : أربعة أركان.

٢) والعدول هم حملة السند المتصل، وورات الأبوة الشرعية أخلاقا وعلما وعملا.

٣) سنن البيهقي الكبرى (٢٠٧٠٠) .

وأسألُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ ذٰلِكَ موافقاً لما يُرضيهِ سبحانه وتعالى ، وأَنْ يَنْفَعَنِيَ والمسلمينَ بذلك.. إنـه على ما يشاءُ قديرٌ وبالإجابةِ جديرٌ.



مفهوم الإعادة

عند ملاحظةِ الثمراتِ العلميةِ المكتوبةِ في المؤلفاتِ والمراجعِ حولَ تفصيلِ أركانِ الدينِ، وجدنا أنَّ التدقيقَ الواعيَ يؤكدُ رباعيةَ الأركان وليس ثلاثيتَها . وقد فَرَغْنَا من هذه المسألة فيما سَبَقَ مِنَ التَّنَاوُلِ[1] . وَإِنَّما بقيَ علينا إعادةُ تأصيلِ الرباعيةِ مجتمعةً في وِحْدةٍ شرعيةٍ واحدةٍ لا يَنْفَكُّ بَعضُها عن بعضٍ، سواءً في سردِ نصِّ الحديثِ المعروفِ بـ"أمِّ السُّنَّةِ" أو في تقريرِه وشرحِه والاستدلالِ بما ورد فيه .

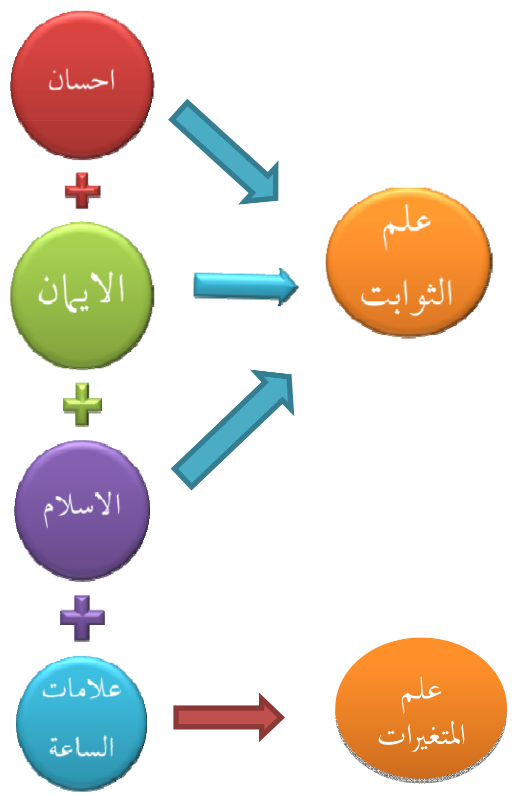
والتأصيلُ الذي نحن بصدِده يأتي على الكيفيةِ التالية:

العلومُ الشرعيةُ المرتبطةُ بالركنيةِ الرباعيةِ :

أ) تنقسمُ العلومُ الشرعيةُ في قراءةِ حديثِ جبريلَ الحاوي لأركانِ الدينِ إلى قسمينِ:

القسمُ الأولُ: علمُ الثوابتِ ، وهي الإسلام و الإيمانُ والإحسانُ.

القسمُ الثاني: علمُ المتغيراتِ ، وهي علامات الساعة وما ترتب على العلم بها .

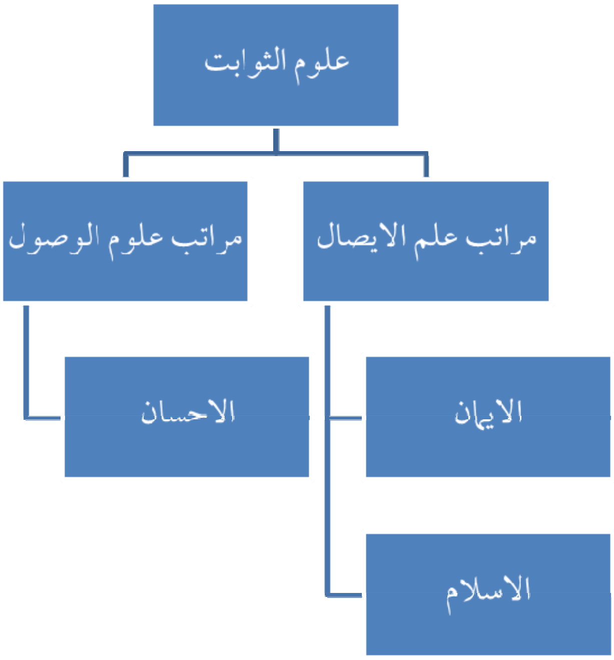


١) وذلك في كتابنا (الركن الرابع من أركان الدين: الثوابت والمتغير)، وقد طبع.

كما تنقسم علوم الثوابت إلى قسمين :

١- مَرَاتِبُ عِلْمِ الإِيْصَالِ ، وهي ما يخص دراسة أركانِ الإسلامِ وأركانُ الإيمانِ.

٢- مَرَاتِبُ عِلْمِ الوُصُولِ ، وهي ما يخص دراسة علمِ الإحسانِ (أَنْ تَعْبُدَ ٱللَّهَ كَأَنَّـكَ تـراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ...)



تَفْصِيلُ مَرَاتِبِ عِلْمِ الإِيْصَالِ: (وَسَائِلُ التَّعَبُّدِ وَمَسَائِلُ الإِيمَانِ) - الركن الأول والثاني -

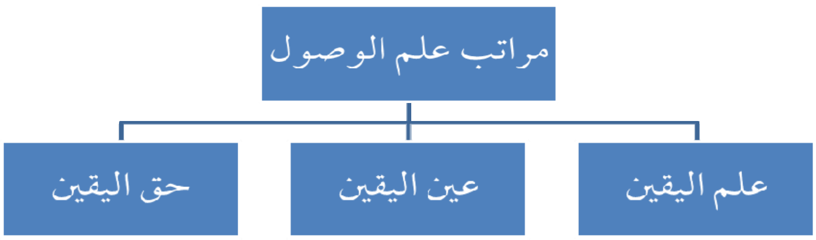
أُطْلِقَ مسمى "الإيصالِ" على مراتبِ العلمِ وثمراته لا على العلمِ وحدَه ، حيثُ إنَّ العلـمَ بالإسلامِ والإيمانِ كنص شرعي أمرٌ مفروغٌ منه ومُتَحقِّقٌ ومخدومٌ في الأمةِ منذُ عهد التـدوينِ. وكان المُتَلَقِّي في سابق العهد يجمعُ بين العلمِ وتحقيقِه حتى بداياتِ عهدِ الغثاءِ الموعودِ، فحصلَ الفصلُ بين أركان الإسلامِ وبينَ تحقيقِها العَمَلِيّ ،وبين أركان الإيمان أيضـاً وتحقيقهـا العمـلي، وأثمرَ هذا الفصلُ انعدامَ الوحدةِ الموضوعيةِ بين العلم بالإسلامِ والإيمانِ وثمـراتِها العمليـةِ. بل أدى ذلك إلى غيابِ الحقائقِ المترتبةِ على دراسةِ الحقيقةِ الفعليـةِ لأركـانِ الإسـلامِ الخمسـةِ

وأركانِ الإيمانِ الستَّةِ. وحلَّ محلَّها التسويفُ والشكُّ وخصوصاً في طلّابِ المدارسِ الحديثةِ المسيَّسةِ، وكان من ثمراتِ هذا الاهتمامِ السلبيِّ نجاحُ حَمَلاَتِ الهندسةِ الإِسْتِشْراقِيّةِ مَالِكَةِ قَرَارِ المرحلةِ وداعمةِ القوى المتحركةِ دِينِياً ودُنيوياً فيها "التَّحْرِيشِ" ضِدَّ المدارسِ الأبويةِ التقليديةِ الجامعةِ بين حقائقِ العِلْمَيْنِ المشارِ إليهما سَلَفاً، وهي المدارسُ المرتبطةُ بمرحلةِ الخلافةِ الإسلاميةِ، بصرفِ النظرِ عما حَصَلَ فيها من النواقضِ والنقائضِ التي صارتْ ذريعةً وحجةً لطمسِ هويتِها التاريخيةِ والدينيةِ، بواسطةِ سياسةِ "المنافسةِ" بين المدرستينِ: الحديثةِ المدعومةِ ، والقديمةِ المذمومةِ.

تَفْصِيلُ مَرَاتِبِ عِلْمِ الوُصُولِ (مَقَامَاتُ التَّحَقُّقِ وَثَمَرَاتِ الأَعْمَالِ) – الركن الثالث –

ومعنى مراتبِ هذا العلم : ما أثمرتْهُ العباداتُ والطاعاتُ والقِيَمُ والأخلاقُ الإسلاميةُ في مَرْتَبَتَي "الإسلامِ والإيمانِ" وما يتحتمُ به من التحققُ بالأحوالِ والمقاماتِ الشرعيةِ من خلالِ التدرجِ في المراتب العلمية والعملية المنبثقة عن المعارف الإسلاميةِ والإيمانية الموصلة إلى المرتبة الإحسانيةِ والإيقانيةِ. ومقصودُنا بـ"الإيقانيّةِ" علوم اليقينِ الثلاثةِ:

(عِلْمِ اليَقِينِ – عَيْنِ اليَقِينِ – حَقِّ اليَقِينِ)



وَهِيَ مراتبُ علومِ الإحسانِ المفصّلة لمعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم (أَنْ تَعْبُدَ ٱللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) .. وبها تظهرُ مراتبُ ومقاماتُ الصِّديقيةِ الكبرى المشارِ إليها في الحديثِ القدسي: (وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ

سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ ٱسْتَعَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ).. وهي بلا شكٍّ المرتبةُ المتحققةُ دون مرتبةِ النبوةِ الخاصةِ بالأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ.. قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩]

فالمرتبةُ الأولى: مرتبةُ النبوةِ التي لا يُشَارِكُ الأنبياءَ فيها أحدٌ، وضابطُها: الوحيُ والعصمةُ والأخلاقُ .

والمرتبةُ الثانيةُ: مرتبةُ الصِّدِّيقِيَّةِ ، وفيها يشاركُ الأنبياءَ مَن دُونَهم من أهلِ الصِّديقيةِ الكبرى ،وضابطها الحفظ والتوفيق والمراقبة لله حق مراقبته على صفة التدرج في مراتب اليقين السالف ذكرها، كما هو في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم:٤١]، والصِّديقيةُ يتحققُ بها الأولياءُ والعارفون بالله تعالى من الرجالِ والنساءِ حيثُ وصفَ اللهُ مريمَ عليها السلام ، بقولِه تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة:٧٥] ، ووصفَ اللهُ عبادَه المؤمنين باللهِ ورسلِه على وجهِ التحقيقِ بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ [الحديد:١٩].

وقد انقطعتْ هذه المراتبُ في المعرفةِ السائدةِ اليومَ بانقطاعِ التحققِ بعلمِها، وبقيتْ معرفتُها اللفظيةُ ومصطلحاتُها الإحسانيةُ وقلةٌ من أهلِها بين " الخمولِ والأفولِ".. حيثُ لا يوجدُ على ظهرِ الأرضِ اليومَ إلا من رحمَهُ اللهُ مَن يُمنْهِجُ للأجيالِ المسلمةِ هذه العلومَ بحقائقِها الإحسانيةِ والإيقانيةِ تربيةً وتزكيةً ، بل تحولَ الأمر إلى ما يناقضُ ذلك مع شمولِ المدارس الإعلامية والأجهزة الأفلامية، وهي الوسائلُ الشيطانيةُ في غالب مخرجاتِها المنهجةِ والمبرمجةِ للمغالبة والمنافسة.

وربما بقي شيءٌ من مظاهرِ التزكيةِ والتربيةِ في حدّها الأدنى مختلطـةً بالشـوائبِ والإفراطـاتِ لدى بعضِ المنهجيات الاسلامية المتعنتة أو الطرقِ الصـوفيةِ الميتـةِ[١]، تلـك الطـرقُ التـي لا تستطيعُ إقامةَ التوازنِ الاجتماعيِّ والفكريِّ والعلميِّ مع مدارسِ القبضِ والنقضِ مـن جهـةٍ ، ومدارسِ العلمانيةِ والعلمنةِ والعولمةِ من جهاتٍ أخرى.

١) وصف الطرق الصوفية بالميتة ليس للذم والتحقير وإنما تقرير الحالة التي بلغناها جميعاً من الوهن والغثاء والتقصير، وانحصار الطرق والمريدين في دوائر الخلوات والزوايا منقطعين لسبب وآخر عن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومتأخرين عن طلب العلوم وتحقيق ثمراتها الشرعية على الوجه المطلوب.

تفصيل علم المتغيرات (فقه التحولات) الركن الرابع

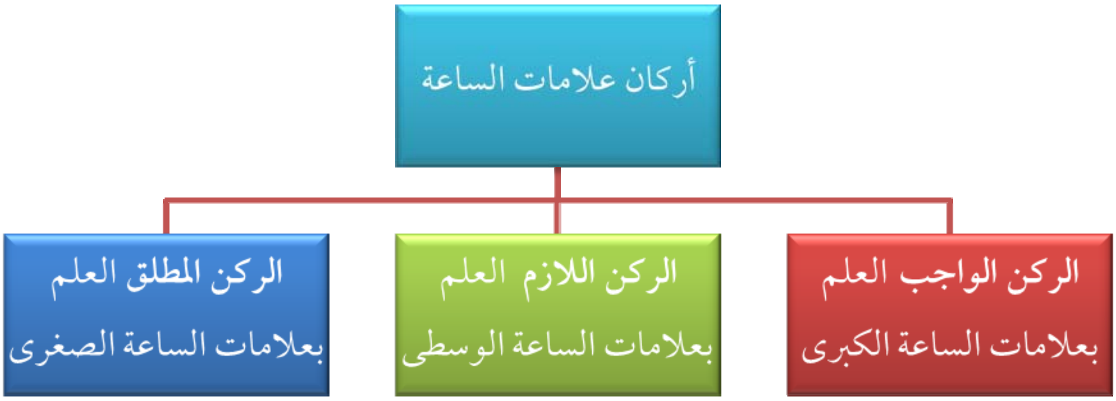
يطلق علم المتغيرات على ما يخص (فقه التحولات)وهو الفقه الذي يعني بتحليل وتفصيل علوم الركن الرابع من أركان الدين وهو (العلم بعلامات الساعة)

وأول ما يجب معرفته في تفصيل هذا العلم معرفة أركان العلامات والأشراط على النحو التالي :

١- **الركن الواجب** : العلم بعلامات الساعة الكبرى

٢- **الركن اللازم** : العلم بعلامات الساعة الوسطى

٣- **الركن المطلق** : العلم بعلامات الساعة الصغرى



وهذه الأركان الثلاثة كلّها تسمى أركان (علامات الساعة) كما سيأتي تفصيلها، وفقهها الشرعي هو (فقه التحولات) وهو الفقه الحاوي على مادة العلم الشرعي من الكتاب والسنة في كل ما يخص نماذج العلامات والأشراط والفتن ومضلاتها والملاحم والبشارات وتتلخص هذه النماذج في العلوم التالية :

١) علم النواقض والنقائض (الفتن ومضلاتها)

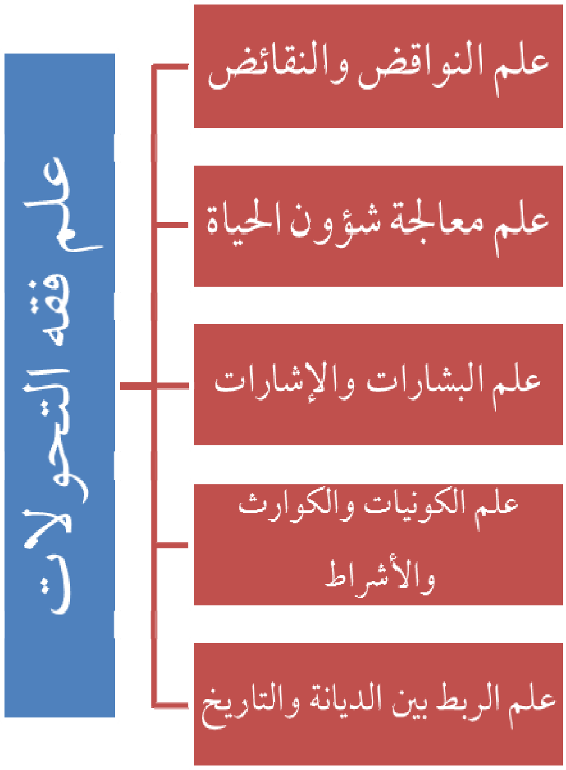
٢) علم معالجة شؤون الحياة (مستجدات الثقافة والعلوم النظرية والتطبيقية الايجابية والسلبية) .

٣) علم البشارات والإشارات وأسباب السلامة من الفتن ،وما يخص حصانة السند والعدول (أوعية العلم) .

٤) علم الكونيات والكوارث والأشراط .

٥) علم الربط بين الديانة والتاريخ وهو ما يخص قراءة التاريخ الأبوي النبوي الشرعي ومعرفة ما يقابله من قراءة التاريخ الأنوي الطبعي الوضعي تاريخ النارية الإبليسية وماديتها المجردة .

وسيأتي تفصيل هذه الأقسام بالتفصيل لاحقاً.



أ) تَفْصِيلُ عِلْمِ النَوَاقِضِ وَالنَّقَائِضِ (الفتن ومضلاتها) :

وهو أحد فروع علم المتغيرات . والنواقضُ مأخوذةٌ من النقضِ المقررِ في حديثِ: (لَتُنْقَضَـنَّ عُرَىٰ الإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً)[١] ، وَمِنْهُ: نَقْضُ العُرَىٰ، ونَقْضُ الأعمالِ، ونَقْضُ القِيَم.

والنقائضُ مأخوذةٌ من صيغةِ المفاعلةِ: نَاقَضَ يُنَاقِضُ ، أي: يَفُكِّكُ التَّرْكِيبَ المُبْرَمَ ويأتي بضدِّه أو ما يُبْطِلُهُ. وهو العملُ الضِّدِّيُّ للنظرِ في عيوبِ وتِراتِ الخَصْمِ والمخالفِ .

فالعاملون على صفةِ السلبيةِ يشتغلون بنقضِ العرى وإشاعةِ الفرقةِ بالمتناقضاتِ والخلافيـاتِ حتى يبلغوا أهدافاً محددةً في الشعوبِ المستغفلَةِ خدمةً للشيطانِ والدجالِ.(وهي نوع من الفتن المضلة) ، وأما العاملونَ على صفةِ الإيجابيةِ فيدرسون عِلْمَ النـواقضِ والنقـائضِ مـن أصـولِه الشرعيةِ التي تحدثّ عنها من لا ينطقُ عـن الهـوىٰ صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ، وهـو "فقـه التحولات"، فيتعرفون به على موقعِ السلامةِ وموقعِ الندامةِ ، ويستطلعون ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم في الأمة من العلاماتِ والأشراطِ والفتنِ ومضـلاتِها. فيحـذرون ويحـذِّرون، كما جاء في حديث سيدِنا حذيفةَ بنِ اليمانِ: (كَـانَ النَّـاسُ يَسْـأَلُونَ رَسُـولَ اللهَّ صَـلَّى اللهُّ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي)[٢] .

ولهذا العلمِ تأصيلاتٌ وتفريعاتٌ كثيرةٌ ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً بعمقِ قراءة معاني القـرآنِ ومعـاني السُّنةِ الشريفةِ ، ذاتِ العلاقـة بـالفتنِ والعلامـاتِ والأشراطِ والملاحـم . كـما أن لهـذا العلـمِ قاموساً اصطلاحياً خاصاً يربطُ بين المسمياتِ الشرعيةِ التي نَطَقَ بها صلى الله عليه وآله وسـلم في هذا العلمِ وبَيَنَ ما طابقها مـن شـؤونِ الواقـعِ وأوعيتِـه، ومنهـا التحـريشُ[٣]، والمنافسـةُ،

---

١) مسند أحمد (٢٢٨١٧) .

٢) البخاري (٣٣٣٨) .

٣) يؤخذ التحريش من حديث: (ولكن في التحريش بينهم)، المنافسة مأخوذة من حديث: (أن تنافسوها فتهلككم كما أهلكت من كان قبلكم).

والتوسيدُ، وضياعُ الأمانةِ، والقبضُ والنقضُ، والتـداعي، والـوَهَنُ، وأَكَلَـةُ القَصْـعَةِ، وهَلُـمَّ جراً.. وسنضع لهذه المصطلحات قاموساً في نهاية الكتاب .

وكلُّ هذه المسمياتِ وردتْ في أحاديثِ من لا ينطقُ عن الهـوى صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ؛ ولكنّها لم تُطبَّق على الواقعِ المتحوِّلِ إلا ببروزِ علمِ فقهِ التحولاتِ . بل ظَلَّتْ عـلى مَـرِّ الزمـانِ حبيسةَ النصوصِ غيرَ منطبقةٍ في عقولِ العلماءِ قبلَ الدهماءِ على الواقعِ المعاشِ ، بـل ربـما نفـى العديدُ منهم تطابقَ العلاماتِ مع زمنِه وعصره وأنكرَ على المتناولينَ لشيءٍ من ذلك وظنَّ أنهـا آياتٌ لم يَحِنْ وَقْتُها. ولا حاجة لذكرها وإعلان خبرها ..

ب) تَفْصِيلُ مَرَاتِبِ عِلْمِ مُعَالَجَةِ شُؤُونِ الحَيَاةِ (النَّظَرِيَّاتُ وَآلِيَّاتُ التَّطْبِيقِ)ومستجدات الثقافـة والعلوم الإيجابية و السلبية :

ويُطلقُ هذا التعريفُ على مجموعِ العلومِ المعروفةِ بعلومِ الآلةِ، كاللغـاتِ والعلـومِ الثقافيـة و الاجتماعيةِ والإنسانيةِ، وكذلك العلومُ النظريةُ والتطبيقيةُ الماضيةُ والحاضرةُ والمستقبليةُ ، ومـا تَفَرَّعَ عنها من ثمراتٍ واختراعاتٍ واكتشافاتٍ وخـدماتٍ متنوعـةٍ، وكـذلك علـوم التنجـيم والسحر والحرف والكف والطلاسم وغيرها .

والمقصودُ بمراتبِ العلم : موقعُ العلمِ من أمرِ الدنيا ، وموقعُه من أمرِ الآخرةِ ، وما يترتبُ على العالِمِينَ به من طلبِ ثوابٍ وخوفِ عقابٍ، وتسخيرِ الجهودِ العلميةِ في إيجابياتِ البناءِ والتطورِ والنفعِ الخاصِّ والعامِّ، وفي الدفاعِ عن الحـقِّ الإلهـيِّ في العبـادِ والـذودِ عنـه بالسـلاحِ والمـالِ والوسائلِ التكنولوجيةِ المتنوعـةِ ، وتوظيفِهـا توظيفـاً إنسـانياً واعيـاً لخدمـةِ الحيـاةِ الإنسـانيةِ اقتصاداً وعلماً وتعليماً وطباً وصناعة وأمناً وإيماناً ومواقفَ إيجابيةً. وهذه هي نقطةُ التباينِ بـين علماءِ الدياناتِ الشرعيةِ وعلماءِ التوليفاتِ الإنسانيةِ الوضعيةِ ، ولكلٍّ وجهةٌ هو مُوَلِّيها..

والمستثمرون لأطرافِ التبايُنِ جِهَتَانِ:

● الأولى: دعوة الصراط المستقيم ، وهي الدعوةُ الإلهيةُ العليا على ألسنةِ الأنبياءِ والرسلِ ومن ارتبطَ بهم من العلماءِ الصالحينَ والأتباعِ المؤمنين من أهل الحصانة والعدالة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ومصيرهم إلى السلامة في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

● الثانية: جهةُ الشيطانِ الرجيمِ وما ابْتَلَى اللهُ به العبادَ من آثارِ دعوتِه السلبيةِ على ألسنةِ الدجاجلةِ والكفارِ والوكلاءِ العباقرةِ من المنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض ومن تبعهم من المستغفلين من أمة الإسلام بعلم وإدراك وتسييس متعمد إلى يوم الدين ومصير من لم يتب منهم ومن لم يتغشاه المولى بواسع رحمته إلى جهنم وبئس المصير.

وتحتَ هذا البابِ تأصيلٌ خطيرٌ لا يُدركُ إلا بالتعمقِ في آياتِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وطولِ النَّظَرِ في المدلولاتِ والمواقفِ الشرعيةِ والمدلولاتِ والمواقفِ الوضعيةِ

(وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ) [يوسف:٢١]

ج) تفصيل مراتب علم البشارات والإشارات وأسباب السلامة من الفتن وحصانة السند والعدول :

ويطلق هذا التعريف على ما تناثر من أحاديث علامات الساعة المتناولة بشارات وإشارات وتنفسات المراحل سواء ما كان منها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو ما كان من بعده .. ومنها ما تناول شأن البشارات للصحابة والآل وببعض تنفسات المراحل وامتداد الإسلام في الأرض وذِكرُ بعض الأفراد بخير فيما يأتي من الزمان أما بالاسم أو الدلالة والإشارة كبشارته بعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، وبباقر العلم في آل البيت ، وبعالم قريش يملأ طباق الأرض علماً ، وبالإمام المهدي وعيسى وغيره من نماذج البشارات بالأفراد والشخوص .. وتدخل هذه البشارات في باب الحصانة والسند والعدالة أيضاً وخاصة عند احتدام الأمور وصدور القذف والتهمة من بعض المسلمين لبعض آل البيت والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان فتكون أحاديث البشارات والحصانة وسلامة التلقي خير حماية

لأولئك من ألسنة أهل الفتن والفتن المضلة ومنها أحاديث السلامة من الفتن وتوجيهات الرسول في شأن ما يفعله المسلم إذا أسيلت الدماء بين المسلمين ، واحتدم أمر الناس واختلفوا على كرسي الحكم والعلم ، واعتنت هذه الأحاديث بصفة العلم والمواقف الواجب فيها كقوله صلى الله عليه وآله وسلم (إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودعك من أمر العوام) وكتوجيهه صلى الله عليه وآله وسلم بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال ويدخل فيها كل ما يتعلق بالتحصن من الفتن كالأدعية الواردة في ذلك والآيات المجربة للحفظ والحماية من الأنس والجن باعتبار علاقة ذلك بالفتن الظاهرة والباطنة.

وقد سمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفتن ومضلاتها وأشار إلى أئمتها ورجالها وبيّن بعض علاماتها وعلاماتهم (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بيّنة) ، وتحت هذا القسم أمور كثيرة لا يكفي لها مثل هذه العجالة ..وقد صنف العلماء في باب الفتن ومضلاتها عشرات المؤلفات الجامعة وهي مادة ومرجعية هذا العلم الواسع بدءاً من عصر آدم ونهاية بالنفخ في الصور .

ومن نماذج هذا القسم ما يخص علم الحصانة والسند والأئمة العدول ، وهو علم خاص بفقه التحولات يؤخذ من النصوص ومعاني آيات الارتباط السندية ومعاني (الأئمة العدول) كقول يوسف عليه السلام مدافعاً عن منهج تلقيه الأبوي السندي ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ . .الخ ﴾[يوسف:٣٨]

وكتوثيق الحق سبحانه لمن يعنيهم معنى الآية

﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾[الأنعام:٨٩]

وكقوله في الإشارة إلى الموطن والأصل الثابت

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾[الأعراف:٥٨]

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم في حصانة السند المتصل (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ..)

والحصانة أنواع :

- حصانة أفراد كما هو في أحاديث المناقب .
- حصانة مراحل كما هو في أحاديث حصانة مرحلة الخلافة .
- حصانة صفات كما هو في حصانة أهل بدر والشجرة وآل البيت

ولكل حصانة شروط.

د) تفصيل علوم الكونيات والكوارث والأشراط :

وهو ما يخص الأحاديث والآيات بالتغيرات والتحولات المشار إليها في أحاديث علامات الساعة بالخسوفات والكوارث والبراكين كالنار والدخان والخسف والقذف والمسخ ، والدجال ويأجوج ومأجوج والدابة ، والنار الحاشرة ، وهدم الكعبة ، وطلوع الشمس من مغربها .. الخ

هـ) تفصيل علوم (ربط الديانة بالتاريخ) :

وهو العلم الذي يخص قراءة التاريخ الأبوي النبوي الشرعي منذ بداية الحياة الى نهايتها من خلال القرآن والسنة الشريفة – وما يقابله من قراءة التاريخ الأنوي الطبعي الوضعي تاريخ الفصل بين الديانة والتاريخ ، وهذا العلم يعيد قراءة القرآن قراءة تاريخية شرعية مفصلة فيما يناسب الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ ، من مثل :

١) دراسة التكوين الآدمي ، وما يخصه من الآيات والأحاديث وموقف ابليس من السجود لآدم وما ترتب على ذلك.

٢) دراسة مرحلة سكن الجنة وبدء مرحلة الأوامر والنواهي ، وفقه عداوة الشيطان وأثره على الإنسان .

٣) دراسة مرحلة الإهباط إلى الأرض ووظائف الفرقاء في الحياة (أهبطو منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هد فمن تبع هداي فلا يظل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا...الخ)

٤) دراسة بدء مرحلة مسؤوليات الخلافة على صفة المدرسة الأبوية النبوية أبوية آدم ومن آمن به ، وأنوية الشيطان ومن أرتبط به ، وبدء نشاطه الكفري في (قابيل) ليؤسس مدرسة الأنوية الإنسانية في العالم وبدء مرحلة التاريخ المادي المجرد ، المدرسة القائم على (الكفر – القتل – الكذب – العقوق – الغرائز – الرفض والإباء) وما يقابلها من معادل السلوك الأبوي النبوي الشرعي لدى (هابيل) كما ورد في آيات سورة المائدة ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾[المائدة:٢٧] وما ترتب على افتراق المدرستين مدرسة الأبوة الشرعية و مدرسة الأنوية الوضعية في سير العالم الإنساني وتميز المدرسة الأبوية النبوية برسالة آدم وموقف هابيل وما تفرع بقراءته من الكتب المنزلة والرسل والأنبياء عبر الأزمنة والمراحل من آدم إلى نوح ومن نوح إلى إبراهيم ومن إبراهيم إلى موسى ومن موسى إلى عيسى ومن عيس إلى عهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو العهد الذي يمتد إلى قيام الساعة وفق الدراسة العلمية الشرعية لفقه التحولات ..

رَبْطُ ٱلدِّيَانَةِ بالتَّارِيخِ وَعَلاَقَةُ ذٰلِكَ بالرُّكْنِ ٱلرَّابِعِ :



صار مِن مُهمَّاتِ فقهِ التحـولاتِ ربـطُ الديانـةِ بالتـاريخِ ربطًـا وثيقًـا غـيرَ منقسـمٍ ولا منفصـمٍ. فالقـارئون للتـاريخِ عـلى صِـفَةِ الأحـداثِ والتحولاتِ السياسيةِ يقرؤُون التاريخَ ويفسِّـرونَه بلسانِ صُـنَّاعِه ورَاسِـمِي سياسـتِه، بـل يَخْتَلِفُـون ويتنـابزونَ بالألقـابِ وَفقًـا لشرـحِ الحـوادثِ ومجرياتِ الوقائعِ ونماذجِ الولاءِ.

والحقيقةُ المغيَّبَةُ عن الجميعِ أنَّ الديانةَ الشرعيةَ ممثلةً بالقرآنِ والسُّنَّةِ قد فَرَغَتْ منذُ عهدِ الصَّدْرِ الأَوَّلِ من تصنيفِ التاريخِ الإنسانيِّ قديماً وحديثاً وحاضراً ومستقبلاً، وَبَيَّنَتْ كلَّ ما يتعلـقُ في مسيرتِه بين الخيرِ والشرِّ والحقِّ والباطلِ ؛ حتى صارَ توثيـقُ القـرآنِ والحـديثِ النبـويِّ أعظـمَ شاهدٍ علىٰ التاريخِ ومُفَسِّرٍ لحقائقِه الإيجابيةِ ومُدِينٍ لأباطيلِه السـلبيةِ.. إلا أنَّ هٰـذا التوثيـقَ لا يرتبطُ بما تَدْرُسُهُ الأُمَّةُ المعاصرةُ من ثمراتِ علمِ الأصولِ وٱستدلالاتِ السُّننِ الثَّلاثةِ: القوليةِ والفعليةِ والتقريريةِ، مع أنَّ فيها من العلمِ ما يخصُّ ذٰلـكَ؛ إلّا أنَّ حصرَـ الأمـرِ الشرـعيِّ عـلى الأركانِ الثلاثةِ المعروفةِ بالثوابتِ عَزْلٌ بينَ تقريرِ الدِّيانةِ وبينَ تفسيرِ التاريخِ.

والصحيحُ الّذي لا غبارَ عليه أنّ "المتغيراتِ" ـ وهو علمُ التاريخِ والتحولاتِ ـ جزءٌ لا يتجزأُ من شؤونِ الديانةِ ، وبالدمجِ بين ثمراتِها والقراءةِ الواعيةِ لها تَـبْرُزُ الحقـائقُ المغيَّبـةُ، ونعـرفُ الأضاليلَ الضاربةَ على عقولِ الأمةِ كلِّها سواءً في مستوى الحكمِ أو مستوى العلمِ أو مسـتوى الشعوبِ أوشؤونِ الحياةِ.

والقارئُ للتاريخِ مرتبطًا بالديانةِ تلزمُه العودةُ الواعيةُ للقرآنِ الكريمِ كي يستخلصَ منه أُسُسَ هٰذا العلمِ ، ثم العودةُ إلى السنةِ الشريفةِ لاستكمالِ نسيجِ القراءةِ الواعيـةِ فـيما يخـصُّ التـاريخَ وتحولاتِه ، ولا يمكنُ بأيِّ حالٍ من الأحوالِ أن يتعرّف المرءُ على هٰـذا الأمـرِ إلا بدراسـةِ فقـهِ

التحولاتِ دراسةً واعيةً ؛ لأنّهُ العلمُ المختصُّ بهٰذا النوعِ من الحياةِ.

وقولُنا: (العودةُ إلى القرآنِ الكريمِ لاستخلاصِ مقاييسِ هٰذا العِلْمِ) معناهُ النظرُ في وظائفِ النصِّ القرآنيِّ ومحتواه[١]. فلو أخذنا مثلاً سُوَرَ القرآنِ القصيرةِ من سورة الضحىٰ إلى سورة الناسِ ومَيَّزْنَا من خلالِ النظرِ إلىٰ محتوىٰ كلِّ سورةٍ من السورِ وَفْقَ الوَحدةِ الموضوعيةِ للسورةِ ؛ لَعَرَفْنا من خلالِ السياقِ وظيفةَ المحتوىٰ في وصفِه للمعروضِ المتناولِ. فمنها ما نحن بصددِه وهو فقهُ التحولاتِ وربطُ الديانةِ بالتاريخِ كما هو في محتوىٰ سورةِ الفيلِ، وسورةِ تَبَّتْ ، وسورةِ الهُمَزَةِ ، وسورةِ الضحىٰ، وأَلَمْ نَشْرَحْ، وإِذَا زُلْزِلَتْ ، وغيرِها من السورِ التي تتناولُ أحداثَ التاريخِ العامِّ أو التاريخِ الخاصِّ أو التاريخِ الذاتيِّ للفردِ نفسِه، لنعرفَ مِن خلالِها موضوعَ التناولِ وٱرتباطَه بالدِّيانةِ. فالقرآنُ لا يروي أحداثَ التاريخِ كوقائعَ سياسيةٍ أو ٱجتماعيةٍ مستقلةٍ، بل يرويها ويروي معها موقفَ أصحابِها من الديانةِ ذاتِها، ويروي موقفَ الديانةِ الشرعيةِ من المرحلةِ وأربابِها.. بل إنَّنا كلما ٱستطردنا في قراءةِ القرآنِ من أولِه إلى أوسطِه إلى آخرِه سنجدُ العَجَبَ العُجَابَ في القراءةِ التاريخيةِ المرتبطةِ بالديانةِ سلباً وإيجاباً، بل ويزدادُ الأمرُ عجباً عند النظرِ في النتائجِ السلبيةِ وما تؤدِّي إليهِ من هَلَاكٍ ، والنتائجِ الإيجابيةِ وما تؤدي إليه من السلامةِ والاستقرارِ.

وقد ضَرَبْنَا في كتابِ (الأسسِ والمنطلقاتِ) علىٰ هٰذا الشأنِ مَثَلاً حَيًّا في سورةِ الكهفِ، وما ٱحتوتْهُ مِن وقائعِ الارتباطِ بينَ الديانةِ والتاريخِ، بل وَلَفَتْنَا النَّظَرَ في ثَوابِها المترتِّبِ لِقَارِئِها يوم الجمعة وليلتها وعلاقَةِ الثوابِ بأهميةِ مواضيعِ السورةِ . ومن هذه الأهميةِ كونُها ترتبطُ بالساعة وعلاماتِها، ومن ذٰلك قراءةُ الآياتِ العشرِ من أولِها ، وقيل من آخرِها ، لتكونَ عِصمةً للمسلمِ من أثرِ المسيخِ الدّجّالِ.

وما هذا التخصيصُ إلا إشارةٌ واضحةٌ لهٰذا العلمِ الّذِي نحنُ بصدِده ووجوبٌ لإعادةِ قراءةِ

---

١) مع العلم أنَّ غالب المفسرين وضعوا أغلب مسائل التفسير على ضوء مخرجات الأركان الثلاثة ولم يقفوا على سر الارتباط بين القرآن وعلامات الساعة .

القرآنِ تحتَ قواعدِ هٰذا العلمِ الهامِّ "علمِ التحولاتِ والمتغيراتِ" من الركنِ الرابعِ من أركانِ الدِّينِ.

ومن القراءةِ النموذجيةِ في هذا الفقهِ قراءةُ سورةِ المنافقون، وهي السورةُ التي كَشَفَتِ القناعَ عن نماذجِ الإفكِ والكذبِ والزورِ، وهُمْ يُهَنْدِسُون مدرسةَ القبضِ والنقضِ والشكِّ والإرجافِ في ذاتِ المدينةِ المنورةِ مع رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويتربصونَ بهِ الدوائرَ ويُشاركونَ الأعداء في كلِّ مناسبةٍ وغزوةٍ وسَرِيَّةٍ ومؤامرةٍ. وتكادُ هٰذِه السورةُ ـ بما فيها ٱسمُها ـ أن ترصدَ للأمةِ مرحلةً تاريخيةً خطيرةً ٱرتبطتْ بالديانةِ من حيثيتينِ:

الأولى : مِن حيثُ كونُها تحاربُ الديانةَ وتؤذي رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية : كونُها تُؤَصِّلُ منهجيةَ النفاقِ التاريخيِّ داخلَ الخيمةِ الإسلاميةِ.

وبمتابعةِ هٰذه التفاصيلِ القرآنيةِ عن النفاقِ من خلالِ هٰذه السورةِ تتبينُ المبادئُ التاريخيةُ لمدرسةِ النفاقِ في أخطرِ صُوَرِها وأساليبِها.

كما يَبْرُزُ من دراسةِ سورةِ براءةَ نمطُ فقهِ التحولاتِ أكثرَ مِمّا يَبْرُزُ في سورةِ المنافقون، فبراءةُ تَحْمِلُ صفةَ الشمولِ في فَضْحِ كافةِ مدارسِ الإفكِ والشركِ والجاهليةِ قديماً وحديثاً، ولهٰذا سُمِّيتْ بـ "الفاضحةِ" ولم تَرِدِ البسملةُ في أوَّلِها، وأمرَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عَلِيّاً رضي الله عنه وكرَّمَ وجهَه أن يَذْهَبَ بها إلى مكةَ لقراءتِها على الجميعِ كبيانٍ عالميٍّ لا ينطقُ به إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو رجلٌ من أهلِ بيتِه . وكم في القرآنِ العظيمِ من سُوَرٍ ذاتِ ٱرتباطٍ عميقٍ بقراءةِ التاريخِ مربوطاً بالديانةِ، إما في صورتِه الإيجابيةِ من وصفِ الأنبياءِ وأحوالِهم ووصفِ الأممِ المسلمةِ والوقائعِ الإيمانيةِ ، وإمّا في صورتِه السلبيةِ من وصفِ الأممِ الكافرةِ وعذابِ الله لهم في الدنيا قبلَ الآخرةِ ومن سَرْدِ أحوالِ وأخبارِ ومصيرِ الفراعنةِ والنمرودِ وهامانِ وقارونِ ومن في هٰذا الحالِ والاتجاهِ من المفسدينَ في الأرضِ.

كما أنَّ في قراءةِ الحديثِ الشريفِ فيما يخصُّ الركنَ الرابعَ من أركانِ الدينِ ـ وهو فقهُ التحولاتِ ـ ما يفتحُ المجالَ واسعاً في إعادةِ الربطِ الواعي بينَ التاريخِ والديانةِ، ويُعيدُ قراءةَ النصِّ النبويِّ

قراءةً توضيحيةً مرتبطةً بالهدفِ الشرعيِّ الّذي جاءتْ من أجلِه . وقد أَشَرْنَا في كتابِنا (الأسس والمنطلقات) إلى العلامات الكبرىٰ والوسطىٰ والصغرىٰ باعتبارها مادةَ الربطِ بين مسيرةِ التاريخِ الإنسانيِّ والديانةِ عبرَ التحولاتِ والتغيراتِ، ووَضَعْنَا لها تقسيماً تاريخياً محدداً.

فالعلاماتُ **الكبرىٰ** مختصةٌ بمرحلةِ آخرِ الزمانِ ، وتبدأُ بظهورِ الإمامِ المهديِّ.

والعلاماتُ **الوسطىٰ** ما بينَ بعثةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ عصرِ ظهورِ الإمامِ.

والعلاماتُ **الصغرىٰ** من قبلِ ميلادِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ قيامِ الساعةِ.

ولم تأتِ هٰذه التقسيماتُ إلّا علىٰ ضوءِ قراءةِ الحديثِ مرتبطاً بفقهِ التحولاتِ، والّذينَ يأْبَوْنَ هٰذا التقسيمَ باعتبارِ حَدَاثَتِه ومخالفتِه لِمَا سبق من التأصيلِ لعلمِ العلاماتِ ؛ هُمُ الَّذِينَ لم يُدركوا سِرَّ علاماتِ الساعةِ ولا سِرَّ فقهِ التحوُّلِ والتَّبَدُّلِ.. والمرءُ عدوٌّ ما يَجْهَلُ..

وللحديثِ النبويِّ صولةٌ وجولةٌ في قراءةِ التاريخِ الإنسانيِّ وتوثيقِ سلامةِ التاريخِ الإسلاميِّ سواءً في مستوىٰ الحكمِ أو في مستوىٰ العلمِ أو في غير ذٰلك.

سُنّتَا ٱلمَوَاقِفِ وَٱلدَّلَالَةِ وَعَلَاقَتُهُمَا بالرُّكْنِ ٱلرَّابعِ

لما كان الركن الرابع من أركان الدين مغيباً عن الدراسة التحليلية في كتب علماء الأصول بقي الركن ومتفرعاته غائب أيضاً عن العلماء الفحول ولهذا غاب في هذا الجانب دراسة السنن النبوية التي يتأصل بها الركن الرابع كما تأصل علم الأصول بالسنن القولية والفعلية والتقريرية حيث برز من ثمراتِ دراسةِ فقهِ التحولاتِ المخصوصِ بتأصيلِ الركنِ الرابعِ من أركانِ الدينِ أنَّ هناك سُنَّتَيْنِ هامتيْنِ هما ركيزةُ الرباعيّةِ الرُّكنيّةِ عند الاستدلالِ:

الأولى : سُنَّةُ ٱلْمَوَاقِفِ :

وهي سُلُوكُ وَتَصَرُّفَاتُ الْمُشَرِّعِ الأعظمِ صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه الراشدين فيما يلزم فيه الموقف الحاسم المؤدي بالضرورة إلى سلامة أمر الحكم أو العلم عند اجتماع الشروط.

الثانية : سُنَّةُ الدَّلَالَةِ :

وهي ضابطٌ شرعيّ مُسنَد يُحَدِّدُ فعلَ الشيءِ أو تركَه ٱستقراءً لِنَصٍّ قرآنيٍّ أو حديثٍ نبويٍّ لم يندرجْ تحت ضوابطِ علمِ الأصولِ المقرَّر.

والعملُ بهاتينِ السُّنتينِ منحصرٌ في فقه التحولات ، ودراسةُ تفاصيلِ هذا العلمِ غيرُ مخدومةٍ كما أَشَرْنا إلى ذلك، مع أنها سنةٌ من سننِ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم القولية والفعلية والتقريرية . ولأهمية دراسة (سنة المواقف) نشير على أن كلمة (السنة) تحمل عدة معاني:

١) معنى خاص مقيداً بمفهوم ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره من قول أو فعل أو تقرير.

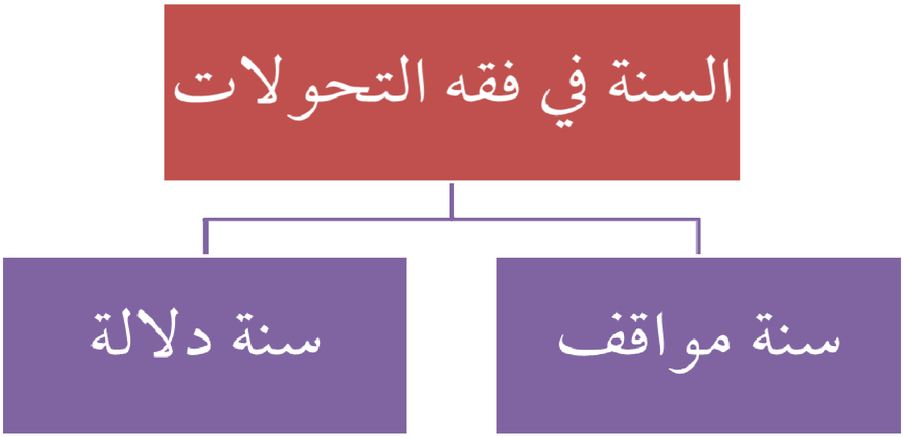
٢) معنى عاماً بمفهوم مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومواقف خلفاءه الراشدين المهديين

٣) معنى لغوياً مطلقاً بمعنى السنة أي الطريقة أو الأسلوب سواء كان في الخير أو الشر.

وقد فرغ العلماء من تأصيل المفهوم الأول من خلال (دراستهم لعلم الأصول وقواعده) ونتناول هنا ما يخص المفهوم الثاني (فقه التحولات)

فالسنة في فقه التحولات تنقسم إلى قسمين :

(سنة مواقف – سنة دلالة)



ومنطلق تأصيل سنة المواقف قوله صلى الله عليه وآله وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ فان من يعش منكم فسيرى اختلاف كثيراً).

فتعين من لفظ الحديث معرفة ما يلي :

١ – معرفة المقصود من لفظ(سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)

٢ – معرفة المقصود من لفظ(الخلفاء الراشدين المهديين) وتأصيل هذا المفهوم النبوي

٣– معرفة المقصود من لفظ(عضّوا عليها بالنواجذ)

٤ – معرفة المقصود من لفظ(فإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً)

وعود على بدء فان مفهوم السنة لا يقف عند معناه اللغوي .. ولا معناه الاصطلاحي لدى علماء الأصول ،بل يتعداه إلى معان أخرى تتلقى مشروعيتها من أقوال صاحب السنة صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فقد اعتبر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم الإحداث الحسن (سنة من السنن الحسنة) وهذا لا يعني إنها تدخل في مفهوم السنن النبوية التقريرية إلا ما قد أقرها وقررها في حياته وأما بعد ذلك فيدخل في مفهوم (سنة المواقف)وهي ما يعنيه قوله (وسنة الخلفاء)كفعل الإمام علي في مشاركته الواعية في بناء مرحلة الخلافة الراشدة

وقبولها ،وتنازل الإمام الحسن بعد أخذه البيعة من الناس.

وهذه السنة الحسنة تتقيد بمفهوم سنة المواقف ، كما تتقيد بها أيضاً في صورتها السيئة فتكون سنة المواقف الإيجابية للخلفاء الراشدين تبعاً لمفهوم السنة الحسنة وسنة المواقف السيئة للحلفاء الشياطين على صفة النقض والقبض تبعاً لمفهوم السنة السيئة المعارضة لسنة المواقف الحسنة التي قال فيها صلى الله عليه وآله وسلم (من سن سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء)- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة- وفي حديث ابن ماجه عن أبي هريرة بإسناد صحيح (من استن خيراً فاستُن به كان له أجره كاملاً ومن أجور من استن به لا ينقص من أجورهم شيئاً ،ومن استن سنة سيئة فاستن به فعليه وزره كاملاً ومن أوزار الذي استن به ولا ينقص من أوزارهم شيئاً)

وبهذا تتميز السنة في الشرع إلى معنيين:

١) ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من قول أو فعل أو تقرير وهو ما يعرف بنص الحديث والحديث النبوي يعرف بالمصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله .

٢) مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومواقف خلفائه الراشدين المهديين المعنيين بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم ارحم خلفائي)قال قلت يا رسول الله ومن خلفاؤك ،قال الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس .

فالنص هنا يقدم الأحاديث وهي ما عرف اصطلاحاً بالسنة القولية والفعلية والتقريرية والثاني قوله (وسنتي)وهي ما يطلق عليه في فقه التحولات بسنة المواقف .

ويؤيد هذا المنحى أيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم (يكون بعدي أئمة يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي) ، والهدي هنا كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من السنة القولية والفعلية والتقريرية وما تفرع عنها من العلوم الشرعية المتداولة في المذاهب الإسلامية المختلفة ولكنهم مع هذا الحرص على الهدي النبوي لا يستنون بسنته (أي بمواقفه الأخلاقية عند تطبيق هديه وقوله) فالسنة هنا تشير إلى سوء مواقفهم العملية وسلامة استدلالاتهم

العلمية ..

وفي حديث آخر ينفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجانبتهم للحق في كِلا الأمرين هدي النبي العلمي الشرعي ،ومخالفة سنن المواقف أيضاً في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (أمراء يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسنتي ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم) [١].

وتزدادُ أهميةُ العملِ بالسُّنتينِ مع بروزِ الحاجةِ إليهما، في عصرٍ عُطِّلَتْ فيه السننُ القوليةُ والفعلية والتقريرية لدى البعضِ، وحُرِّفتْ مدلولاتُها لدى البعض الآخر، حتى غدا المسلمون في عالمنا العربي والإسلامي أشتاتاً فيما بينَهم وأقزاماً أمامَ أعدائِهم التاريخيِّين.. ولن تَقُومَ للجميعِ قائمةٌ إلا بالعَوْدِ إلى إحياءِ ما أماتَ الناسُ من سننِ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك بقوله: (إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي)[٢].

وقد تَناولْنا في سابقِ كتبِنا تأصيلَ هاتينِ السُّنتينِ في فقهِ التحولاتِ وموقعِهما من الكتابِ والسُّنَّةِ، وأنَّ تأصيلَهما مرتبطُ بفقهِ التحولاتِ يجعلُهما أصلَ إعادةِ القراءةِ الواعيةِ لمنهجيةِ الدعوةِ إلى الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ. وأَشَرْنا إلى مفهومِ سنةِ المواقفِ وارتباطِها التامِّ بفقهِ التحولاتِ مستقلةً عن السننِ القوليةِ والفعليةِ والتقريريةِ التي قامتْ عليها دراسةُ علمِ الأصولِ الشرعيِّ، فسنةُ المواقفِ سنةٌ مكمِّلةٌ لما نَقَصَ لدى العلماءِ مِن "أمرِ الساعةِ وعلاماتِها" وما ترتبَ على هذا العلمِ من إعادةِ رباعيةِ الأركانِ، ووضعِ قواعدِ فقهِ التحولاتِ[٣]، بل وَأُعِيدَ بهذا العلمِ مدلولُ الفهمِ لحديثِ: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ

---

١) حديث صحيح ذكره الحافظ بن حجر في الأمالي المطلقة (٢١٣) .

٢) الترمذي (٢٥٥٤) .

٣) راجع كتاب الأسس والمنطلقات للمؤلف .

بَعْدِي... الحديث) [1] لِيُصْبِحَ تأصيلاً شرعياً لخلافةِ العلمِ والأسانيدِ أكثرَ مِن كونِه تأصيلاً لمسمّى خلافةِ الحكمِ والاختلافِ على فرعياتِ المسائلِ في العلمِ.

كما أنَّ "سنةَ الدلالةِ" المقررةِ أصالةَ فقهِ التحولاتِ وسلامةَ متجهِه الاستدلاليِّ تَسُدُّ الثغرةَ التي فتحتْها مدارسُ القبضِ والنقضِ في المرحلةِ ، والتي طوَّعتِ النصوصَ لإحراجِ الأمةِ فيما لا يلزمُها الإحراجُ فيه، فالقائلون: "هذا لم يكنْ على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لم يكنْ على عهدِ صحابتِه" يَرَوْنَها استدلالاً على الجنوحِ والمخالفة، لما أصلوه أو فهموه مع أنَّ هذه العبارةَ لا أصلَ لها في الاستدلالِ بعد أن قررَ العلماءُ في ثوابتِ الأصولِ أنّ الاستدلالَ يكون بالسنةِ القوليةِ والفعليةِ والتقريريةِ سواءً كان الفعلُ على عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته رضي الله عنهم أو لم يكنْ. فلَرُبَّ أمرٍ لم يكنْ على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا على عهد صحابتِهِ رضي الله عنهم ؛ وتأكدتْ صحة العملِ به مبنيةٌ على السننِ المقَرَّرَةِ.

ومن أجل هذا القيد الشرعي ظهر معنى "سنة الدلالة" في علم فقه التحولات ليؤكد شرعية العمل بما لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا عهد صحابته ما دام له دلالة من الكتاب أو السنة. والدلالة كما أشرنا هي إحدى سنن الاستدلال في فقه التحولات كما هو في سنة المواقف.

---

١) سنن أبي داود (٤٦٠٩) .

الوحدة الشرعية لأركان الدين الأربعة ونفي علاقة علامات الساعة باليوم الآخر :

إنَّ مهمةَ حديثِ جبريلَ عليهِ السلامُ مهمةٌ ذاتُ مدلولاتٍ عظيمةٍ جعلتْ علماءَ الأصولِ يطلقون عليه حديثَ "أمِّ السُّنَّةِ" برغم تجاوزِهم للركنِ الرابعِ منه ، وحصرِهمُ الركنيةَ على الثلاثةِ الثوابتِ الأولى: الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ فقط، وربما كان عذرُهم اعتناؤُهم بما هو أهمُّ في نظرِهم لإقامةِ البناءِ العقديِّ والشرعيِّ والسلوكيِّ الذي تستقيمُ به شؤونُ الأمة. أما النواقضُ والنقائضُ والعلاماتُ والأشراطُ فقد كان حظُّها عندهم إلحاقَها بركنِ الإيمانِ باليوم الآخرِ لتصبحَ فرعاً لا يتجزأُ من العلمِ بأمرِ الآخرةِ. والسياقُ الشرعيُّ في حديثِ جبريلَ ينفي هذا الإلحاقَ ويُفْرِدُ علاماتِ الساعةِ عن الإيمانِ باليومِ الآخرِ ويضعُ هذا العلمَ مستقلاً بذاتِه ومراتبِه ومقاماتِه وعلومِه، وأنّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ ركنٌ من أركانِ الإيمانِ يربطُ بين المرءِ وعالمِ الموتِ والبرزخِ والبعثِ والنشورِ بما في ذلك اليوم من أمورِ الحسابِ والعقابِ ورفعِ الدرجاتِ ونيلِ الثوابِ .

وإذا كانَ هناك ربطٌ بين اليومِ الآخرِ وعلومِ الساعةِ فإن المقصودَ بالساعةِ حلولُ ساعةِ الموتِ وما بعدَها كما سبق ذكره،وأمّا ما نحن بصددِه في إثباتِ ركنيةِ الركنِ الرابعِ فهو علاقتُه بالحياةِ وأمورِ تقلباتِها وتحولاتِها وما يطرأُ على الإنسانيةِ وعلى الأمةِ الإسلاميةِ من حبكةِ الشيطانِ وجنوده، وما يقع من فتنةِ المسيخِ الدجالِ وهيمنتِه المتوقعة على الأممِ والشعوبِ وما يسبقُ هذه الهيمنة من امتداد فتنته في مجموعِ حياةِ الأمةِ حاكماً ومحكوماً عالماً ومتعلماً، حتى يُترَكَ ذكرُه على المنابرِ ويخرجَ في خِفَّةٍ من الدِّينِ وإدبارٍ من العِلمِ.

وفي فهمِنا المحدودِ نعتقدُ أنَّ من معاني (يَخْرُجُ فِي خِفَّةٍ مِنَ الدِّينِ)[1] نَقصَ رُكْنِهِ الرَّابعِ، وأنّ من معاني (فِي إِدْبَارٍ مِنَ العِلْمِ) [2] إهمالَ أركان الدين كلها وكلِّ تفريعاتِها كفقهٍ شرعيٍّ للحياة والتحولاتِ.

---

١) المستدرك (٨٦١٢)

٢) مسند أحمد (١٦٦٦٧) .

وعلى هذا التأصيلِ الشرعيِّ يصبحُ الركنُ الرابعُ من أركان الـدينِ متحـرراً مـن تَبَعِيَّتِـهِ لـركنِ الإيمانِ باليومِ الآخرِ ومنفصلاً عنه ومستقلاً بذاتِه ضِـمْنَ حـديثِ جبريـلَ بأركانِـه الأربعـةِ.. وعلينا أن نَعْذُرَ علماءَ الأصولِ ومَن نَهَجَ مُنْتَهَجَهُمْ في تعطيلِ ركنيةِ العلاماتِ ربما لعدمِ الحاجةِ إليه إبانَ مرحلةِ التدوينِ والبناءِ الشرعيِّ لمراتبِ علومِ العقائدِ والأحكـامِ الشرـعيةِ ومراتـبِ السلوكِ، وربما لسببٍ آخر اللهُ أعلمُ به.

وحديثُ جبريلَ عليهِ السلامُ "أُمُّ السُّنَّةِ" يحتاجُ إلى إعادةِ القراءةِ النَّصِّيَّةِ والتبويـبِ الأصـوليِّ لركنيّتِه كي ينسجمَ مع الوَحـدةِ الموضـوعيةِ للحـديثِ ذاتِـه، ولوظيفتِـه الهامـةِ بـين الأركـان الأخرى. وخصوصاً في عهدِنا المتَّصِفِ بالنقضِ والقـبضِ والمتصـفِ كـذلك بـما لا يَمُـتُّ إلى "الديانةِ الحقَّةِ" بِصِلَةٍ. وَلَسْنَا في حاجةٍ لإصدارِ حكمٍ لمن آمنَ به أو من لم يُؤْمِنْ به ، فهذا لـيس من مَهَمَّتِنا ، وربما اشتغلَ به البعضُ تبعاً للمألوفِ لدى علماءِ الأصولِ وفقهاءِ الثوابتِ.

والمسألةُ مسألةُ إعادةٍ واعيةٍ للقراءةِ والتوظيفِ فحسبُ . وبهذِه الإعادةِ تتجددُ القراءةُ مرتبطـةً بالمعاني الشرعيةِ لفقهِ التحولاتِ.

إنَّ ربطَ الركنِ الرابعِ من أركانِ الدينِ بالأركانِ الثلاثـةِ ودراسـتَها مجتمعـةً كأصـلٍ شرعـيٍّ للديانةِ هو من وجهة نظرنا أساسُ تصحيحِ كثيرٍ مما حـلَّ بالأمـةِ مـن طائفيـةٍ وقبليـةٍ عصـبيةٍ وصراعٍ طبقيٍّ واعتقاديٍّ واجتماعيٍّ وسياسيٍّ ولو مِن بعضِ الوجوهِ، حيث إنّ انعـدامَ دراسـةِ هذا الركنِ الهامِّ فَتَحَ باباً من التضاربِ والتناقضِ والتحريشِ والمنافسةِ بين المُصَـلِّينَ عـلى غـيرِ بَيِّنَةٍ حتى حلَّ بالأمةِ ما أخبرَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم من موعوداتِ الركنِ الرابعِ في مثل قوله: (إنَّه ستكونُ هناك سِنونَ خَدَّاعةٌ : يُكذَّبُ فِيها الصادِقُ ، ويُصدَّقُ فِيها الكاذِبُ ، ويُخوَّنُ فِيها الأمينُ ويُؤمَّنُ فِيها الخَؤُونُ)[1].

---

١) مسند أحمد (٨١٣١) .

ومثلُ هذه الظواهرِ لا تخصُّ قضايا الحياةِ الدنيويةِ ، بل تشـملُ الديانـةَ والأمانـةَ والموروثـاتِ والقِيَمَ والأسانيدَ والعدالةَ. وأمرُ الله في عبادِه كائنٌ، والقضاءُ والقدرُ لا مفرَّ منه، ولكنّ التبيانَ والوضوحَ وفهمَ الأمورِ على مقتضاها الشـرعيِّ خيرٌ مـن العَمَايَـةِ والجهالـةِ.. قـال تعـالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفـال:٤٢] ، والشـيطانُ مخلوقٌ حاذقٌ فَطِنٌ، يُخرِبُ البيوتَ بأيدي أهلِها، ويبثُّ روحَ الفُرقـةِ والبغضـاءَ والحسـدِ بـين المُصَلّينَ كما بَثَّهَا من قبلُ بين الأممِ ، بدليلِ قولِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسـلم: (دَبَّ إِلَـيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ)[1].

وهذا النصُّ النبويُّ بارزُ المعنى في إصابةِ الأمةِ المحمديةِ بما أُصيبتْ به الأممُ السـالفةُ مـن أثَـرِ الطِّبَاعِ الشيطانيةِ، ولا علاجَ له غيرَ ما أخبرَ عنه صلى الله عليه وآله وسـلم في بـاقي الحـديث ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَـدِهِ لَا تُؤْمِنُـوا حَتَّـى تَحَـابُّوا أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟... أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ)[2] ، وإفشاءُ السـلامِ بكافـة معانِيـهِ عـلاجٌ نبويٌّ لا بديلَ عنه ولا خيارَ أفضلَ منه، ولعل فقهَ التحولاتِ يعطي مدلولاتِ الحديثِ الآنف ذكره بُعداً عملياً في الواقعِ أكثرَ ممّا عَرَفَهُ أو عَرَّفَهُ الآخرونَ.

والآخرونَ الَّذِينَ لم يُفَسِّرُوا النُّصُوصَ إلا بما فَسَّرَهُ الآخذونَ بثلاثيةِ الأركانِ صَعُبَ عليهم من كُلِّ الوُجُوهِ رَبْطُ المعاني الشرعيةِ في أحاديثِ العلاماتِ والمتغيراتِ بالواقعِ لانعدامِ الركنيةِ لهذا الفقهِ الهامِّ ، وربما فسَّروا الحديثَ المشارَ إليه كغيرِه من الأحاديثِ على صفةِ السـردِ والحكايـةِ والتحذيرِ من تلك الظواهرِ بالعمومِ.. أما فقـهُ التحـولاتِ فمِـن وظائفِـه الـربطُ الوثيـقُ بـين الثوابتِ ومعرفةُ أوعيتِها وأمكنتِها ومادةِ علمِها وبين حقيقةِ أهلِها والناطقينَ بِهَا . كـما أَنَّ مِـن وَظَائفِه الربطُ الوثيقُ بين المتغيراتِ وأسبابِها ولغتِها وهويتِها وبين نقطةِ التحولِ التـي أبـرزتْ

---

١) مسند أحمد (١٣٣٨) .

(٢

مُحَدِّثِيها وفقهاءَها وأعلامَها وحكامَها، وكان هذا الفنُّ سمةَ العديدِ من الصـحابةِ وآلِ البيـتِ وعلماءِ الأمةِ الذين عَـاصَرُوا التحـولاتِ وشـهدوا المتغـيراتِ منـذ العصـرالأولِ، واتخـذوا مواقفَهُم وَفْقَ قِراءَتِهِمُ الشرعيةِ للحوادثِ والتحولاتِ من واقعِ المعرفةِ للخيرِ وأهلِـه وللشـر وأتباعِه ، كما تحدثَ عنهم وأخبرَ عن علاماتِهم مَن لا ينطـقُ عـن الهـوى صـلى الله عليـه وآلـه وسلم.

تَعْرِيفَاتُ فِقْهِ ٱلتَّحَوُّلَاتِ وَعَلَاقَتُهَا بِرُبَاعِيَّةِ ٱلْأَرْكَانِ

التعريـفُ هـو مفتـاحُ سِرِّ العبـارةِ أو الكلمـةِ ذاتِ الهـدفِ المقصـودِ، وقـد ٱعتنـىٰ العلـماءُ بالتعريفاتِ ومعانِيها حتىٰ صارتْ عِلْمًا مستقلًّا له تصنيفاتُه ومؤلَّفاتُه في شَـتّىٰ الفنـونِ، إلّا أنَّ فقهَ التحولاتِ لم يُحظَ بهٰذه الخاصـيةِ ولم يَعْـتَنِ أَحَـدٌ فـيما نَعْلَـمُ بقاموسِـه وتعريفاتِـه، وظَـلَّ التعريفُ لعلاماتِ الساعةِ وأشراطِها محدودَ الخدمةِ قليلَ الِاعتناءِ، مع أهميةِ ورحابةِ مواضيعِه وتَشَعُّبِها وسَعَةِ محتوياتِه.

وقد حَاوَلْنَا مُنْذُ بُرُوزِ الفكرةِ المتاحةِ من عندِ ٱللّٰهِ سبحانه وتعالىٰ لنـا ـ وربـما لِغَيرِنـا أيضـاً ـ أَنْ نَضَعَ أصولَ التعريفِ بهٰذا العلمِ ونُفَصِّلَ ما تَيَسَّرَ لنـا مـن قاموسِـه اللفظـيِّ مـع شرحِ معنـاهُ الشرعيِّ ؛ ليصبحَ العملُ به والاستدلالُ بتعريفاتِه سهلَ المنالِ والتناولِ ، حيثُ انَّ علمَ الساعةِ المسمىٰ بفقهِ التحولاتِ يرتبطُ ٱرتباطاً وثيقاً بكافةِ علومِ الثوابتِ الثلاثةِ ولا ينفصمُ أحدُها عن الآخرِ؛ لأنّها مِن مشكاةٍ واحدةٍ ؛ وفي سياقِ حديثٍ واحـدٍ يحمـلُ وحـدةَ الموضـوعِ ووضـوحَ الهدفِ والغايةِ ؛ وإنْ تعددتْ بعدَ ذٰلك ٱقتباساتُ الباحثِ أو العالمِ في أرجاءِ المواضيعِ المتنوعـةِ والأحاديثِ الواردةِ ذاتِ العلاقةِ بعلاماتِ الساعةِ.

لقد ٱمتلأتْ أحاديثُ مَنْ لا ينطقُ عن الهوىٰ صلى الله عليه وآله وسلم بالكلماتِ ذاتِ المـدلولِ الخاصِّ المرتبطِ إمّا بأحداثِ الزمانِ أو المكانِ أو الإنسانِ، سواءً فـيما سـبقَ مـن تـاريخِ الأمـمِ والشعوب والرسالاتِ، أو مِمّا عاصرَه صلى الله عليـه وآلـه وسـلم وشـاهَدَه مـن أمـرِ الـدينِ والدنيا، أو ما وَصَلَ إليه العلمُ به من رَبِّه عزَّ وجلَّ مِمّا سَيَؤُولُ إليه المسلمونَ من جهـةٍ ، أو مـا سيؤولُ إليه العالمُ الإنسانيُّ كلُّه من جهةٍ أخرىٰ، وما ينتظرُ العالمَ من تَغَيُّراتٍ كونيـةٍ أو بيئيـةٍ أو مناخيةٍ،أو ثقافية أو علمية مستجدة مما لا يَدَعُ مجالاً للشَّكِّ في ٱسـتيعابِ الشـريعةِ ومقوماتِهـا كافةَ شؤونِ الدينِ والدنيا، عَلِمَ ذٰلك من عَلِمَهُ وحَفِظَهُ مَن حَفِظَهُ ونَسِيَهُ مَـنْ نَسِـيَهُ . فعَـنْ أبي الدرداءِ رضي الله عنه فيما يرويهِ الطبرانيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : تَرَكْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا ، قَالَ : فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ ، إِلا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ)[١] . وفيما رواهُ أبوداودَ وأبنُ ماجهْ والحاكمُ من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا آكِلُ الرِّبَا فَمَنْ لَمْ يَأْكُلْ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ)[٢].

إنه قولُ من لا يكذبُ ولا يُكذَّبُ صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا القول يظهر مفهوم الارتباطِ الحقِّ بين الديانةِ والتاريخِ كما يظهرُ فكُّ الارتباطِ بينهما بمثلِ هٰذه النقائضِ الخطيرةِ.

وعلىٰ هذا القياسِ يكونُ للتعريفاتِ موقعٌ هامٌّ من الديانةِ الإسلاميةِ ، وخصوصاً في علاماتِ الساعةِ ومسائلِ الركنِ الرابعِ من أركانِ الدينِ إذا قُرِئَتْ علىٰ الوجهِ المطلوبِ.

فعلىٰ سبيلِ المثالِ لا الحصرِ، عند عرضِنا لحديثِ الأعرابيِّ السائلِ عن الساعةِ وقولِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ) ثُمَّ قولِ الأعرابيِّ: وكيف إضاعتُها يا رسولَ الله؟ ثم قولِه صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا وُسِّدَ الأمرُ إلىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ)[٣] ؛ نَجِدُ في هٰذا الحديثِ من التعريفاتِ الَّتِي تَرْبِطُ بين الديانةِ كشريعةٍ ، وبينَ التاريخِ كمرحلةٍ وأحداثٍ وتحولاتٍ، ومنها:

١ – (إِذَا ضُيِّعَتْ) الإضاعة .

٢ – (الأَمَانَةُ) منهجيةُ الحقِّ التي جاءَ بها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحكمِ والعلمِ والسلوكِ.

٣ – (إذا وُسِّدَ) سياسةُ المؤامراتِ : التوسيد .

٤ – (الأمر) أمر الحكم و أمر العلم .

٥ – (إلىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ) إلى غير عُدُولِ الأُمَّة من وكلاء عمل ورؤساء منظمات ودول كما قال

---

١) المعجم الكبير للطبراني (١٦٢٤).

٢) سنن ابن ماجه (٢٣٦٤) .

٣) صحيح البخاري (٥٩) .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حتى إذا لم يبقى عالم أتخذ الناس رؤساء جهالاً أو رؤوس جهالاً)[١]

وهٰذه التعريفاتُ تربطُ الأمةَ بمراحلَ وشخوصٍ وتحولاتٍ خطيرة ذاتِ قيمةٍ ٱعتباريةٍ في مسيرةِ الديانةِ وتاريخِها المتحولِ.. ربما لا يُولي لها اليومَ العلماءُ بالاً ولا ٱهتماماً.. ولا يُمْكِنُ لَهُمْ بِأَيِّ حالٍ من الأحوالِ أنْ يَضَعُوا نقاطَ المعاني النبويةِ علىٰ مباني المرحلةِ الغثائيةِ لانعدامِ العلمِ بتبويبِ الركنِ الرابعِ من أركانِ الدينِ، فضلاً عن تفصيلاتِه وتفريعاتِه والإشاراتِ المستقبليةِ فيه. وهم مَعذورونَ فيما سبق، أما اليومَ فلا عُذرَ لنا ولا لغيرنا في وجوبِ لَفْتِ النظرِ للربطِ الشرعيِّ بينَ الديانةِ والتاريخِ علىٰ ضوءِ دراسةِ الركنِ الرابعِ من أركانِ الدينِ.

---

(١)

سلامة الأمة قضية مَرْهُونَةٌ بِدِرَاسَتِنَا الوَاعِيَةِ لِلرُّكْنِ الرَّابِعِ

لكلِّ أُمَّةٍ قَضِيَّةٌ، ولكلِّ جيلٍ وظائفُ، وبمقدارِ تربيةِ الجيلِ على وظائفِهِ المنبثقةِ من شرفِ القضايا يَسْطَعُ التفاؤلُ في فمِ الزمان المبتسم. ومن قضايانا المصيريةِ معرفةُ هُوِيَّتِنَا التاريخيةِ مربوطةً بِرباطِ الديانةِ الإسلاميةِ. فالقوميةُ العربيةُ والقبَليةُ والأسرةُ ليستْ رابطَنا العالميَّ وهويتَنَا الشرعيةَ، وإنما هي الحدُّ الأدنى من لغةِ التعارفِ. أما الهويةُ التي صَنَعَهَا الإسلامُ لنا ودعانا إلى تَبَنِّيهَا وإشاعةِ خَبَرِهَا وأثرِها إنما هي "الديانةُ الإسلاميةُ".. تِلكُمُ الديانةُ التي رَضِيَهَا لنا رَبُّنا وَدَعَانَا إليها بقوله تعالى:(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا) [المائدة:٣]، فكيفَ ضاعتْ هذه الهويةُ العالميةُ وبقيتْ لنا جزئياتُ التعريفاتِ والتعارف؟..

إِنَّهَا "غُرْبَةُ الدِّينِ" ، وغربةُ الدِّين فينا متنوعةٌ ومتعددةٌ ، ومن أهمِّها وأعظمِها:

١ - فُقْدَانُ القَرَارِ :

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٦-٢٧]

(لَتُنْقَضَنَّ عُرَىٰ ٱلْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً كُلَّمَا نُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَمَسَّكَ ٱلنَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا ، أَوَّلُهُنَّ نَقْضاً ٱلْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ ٱلصَّلَاةُ)[1]

لَقَدْ فَقَدَتِ الأمةُ قرارَها العالميَّ فتحوَّلتِ "الكلمةُ الطيبةُ" إلى "كلمةٍ خبيثةٍ" .. ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ ، ولعلَّ كثيراً من أشباهِنا وأمثالِنا لا يَرَوْنَ ما نَرَاهُ ولا يرغبونَ في صُوَرِ التشاؤمِ التي نتناولُها عن الأمةِ وعن الكلمةِ الطيبةِ، إذ إِنَّهُمْ يَرَوْنَ الأمورَ لا تتجاوزُ

---

(١)

المألوفَ والناسَ بخيرٍ والحياةَ جميلةً ومتفائلةً.. فلماذا هذا التحليلُ الغريبُ المريبُ؟

والتحليلُ الغريبُ المريبُ عندهم راجعٌ وعائدٌ إلى فقدانِ قراءتِهم للركنِ الرابعِ من أركانِ الدينِ، ولو قرؤُوه كما قرأه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وكما قَالَهُ وَأَثْبَتَهُ وكما آمَنَ به صدورُ الصحابةِ وأئمةِ آلِ البيتِ ؛ لَعَرفُوا سرَّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَٱللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ ٱلصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى ٱللهِ)[1]. لأنَّ رسولَ الله عَلِمَ ما لم يَعْلَمْهُ غيرُه، وصحابتُه وأهلُ بيتِه علموا من عِلْمِهِ ما رَفَعَ لديهمْ مستوى الاستعدادِ واليقظةِ فعاشوا في قلق وراحة به، حتى هانتِ الدنيا وما عليها، أما قضيتُهم المصيريةُ: وحدةُ القرارِ.. وسرُّ الاستقرارِ.. وضمانُ الاستمرارِ..

وبفقدانِ القرارِ ذهب الاستقرارُ، وتعذَّر الاستمرارُ، وجاء أمر الله.. ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١].. ولسنا في معرِضِ محاكمةِ المراحلِ وإدانةِ الأفرادِ، وإنما نحن في تقريرِ الحالِ وتشخيصِ الحالةِ.. فلعل وعسى.

٢) فقدان الهوية:

وبفقدانِ القرارِ العالميِّ ظلتِ القوميةُ والقبليةُ والعصبيةُ والطائفيةُ والعائليةُ تعبثُ بالاستقرارِ وتدمِّرُ أبنيَتَه وتحرقُ أشجارَه وأفكارَه.. ومَن خَلْفَهَا؟.. الشيطانُ والعقلُ الكافرُ الممسوخُ، حتى أُصيبَ حَمَلَةُ قَرَارَيِ الحكمِ المُجَزَّأ والعلمِ المقبوضِ بِداءِ الأممِ ، ومِن داءِ الأممِ فُقدانُ الهُويَّاتِ، والاعتدادُ بالذواتِ والهيئاتِ والمؤسساتِ والجماعاتِ والجمعياتِ.. ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩].

وٱستأسدَ العدوُّ المجتمع ، ونال من القرارِ والهويةِ ، وٱمتلكَ عواملَ الإعادةِ والترتيبِ، فأعاد الصياغةَ الدجَّاليةَ للقرارِ، وحقَّقَ معنىً من معاني مظاهرِ الاستقرارِ، وكسب جولةَ الاستمرار،

---

١) الترمذي (٢٢٣٤).

حتى تمكنَ من صنعِ قوالبِ الهيشاتِ ومطموسي القرارِ والهُوِيَّـاتِ ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم:٧].

ففَصَلَ التعليمَ عن التربيةِ، والدعوةَ عن الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، والتصـوفَ عـن المذهبيـةِ، والمذهبيةَ عن الإسلامِ، وسادَ برنامجُ الشَّكِّ والظنِّ بالإثمِ.. حتى غدا المسلمُ عدوَّ المسلمِ بعـد أنْ كانَ (المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْـوَى هَاهُنَـا ـ وَيُشِـيرُ إِلَى صَـدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ كُلُّ المُسْلِمِ عَـلَى المُسْـلِمِ حَـرَامٌ دَمُـهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)(١).

٣- فُقْدَانُ الكَرَامَةِ :

يقولُ المثلُ المعرَّبُ: "الشَّرَفُ شَمْعَدَانٌ تَكْسِرُهُ الحَاجَةُ". والشرفُ هـو الكرامـةُ، وهـو العـزةُ، والعزةُ: غَيْرَةٌ شرعيةٌ على الحقِّ ومُقَوِّمَاتِهِ.. وبالعزةِ والكرامةِ فُتِحَ العالمُ الإنسانيُّ بأيدي الحفـاةِ العراةِ بسطاءِ الأمةِ.. الذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكرات. وفُقِدتِ العـزةُ والكرامـةُ بأيـدي الحفـاةِ العراةِ العالةِ رعاءِ الشاءِ يتطاولون في البنيانِ.. تَطَاوُلاً في المادياتِ والمظاهرِ الزائفـةِ مـع فشـلٍ ذريعٍ في العزةِ والكرامةِ والهويةِ والقرارِ. وتعظيمٌ لما لا يستحقُّ التعظـيمَ أَوْرَثَنـا خدمـةَ مَـن لا يستحقُّ الخدمةَ، فتحولَ المجتمعُ إلى عبوديةٍ مقنَّعةٍ ومجتمعِ خدماتٍ.. (يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا قَلِيلٍ)(٢).

وبِضَيَاعِ الكرامةِ من الأمةِ ـ وهي جزءٌ من "الأمانةِ" ـ اسـتبدل الجـاهلونَ كـرامتَهم باسـتتباعِ سُننِ اليهودِ والنصارى، وعزَّزُوا حالَ المهانةِ بابتداعِ الصراعِ الاعتقاديّ عند قـومٍ ، والصرـاعِ المذهبيِّ عند قومٍ ، والصرـاعِ الطـائفيِّ عنـد قـومٍ ، والصرـاعِ الطَّبَقِـيِّ عنـد قـومٍ ، والصرـاعِ الاقتصاديِّ لدى قومٍ ، والصراعِ السياسيِّ لدى قومٍ، وهلمَّ جَرّا..

---

١) مسلم (٤٦٥٠) .

٢) أحمد (٨٧١١) .

وحقّقَ الجميعُ من المُوَحِّدِين قولاً والفرقاءِ حالاً وصفةً وعقيدةً ومواقفَ مطلبَ الشيطانِ وسياسةَ الدجالِ.. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وحلَّ بهم ما حلَّ بالأممِ السابقة (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ)(١).

٤ – فُقْدَانُ الأَجْيَالِ :

وكَبُرَ الجيلُ تلوَ الجيلِ تحت ظلِّ التنافساتِ الإعلاميةِ والشهواتِ الأفلاميةِ والمغالطاتِ الأقلاميةِ، لينفصمَ تماماً عن كلِّ شيءٍ يَمُتُّ إلى أمةِ الأخلاقِ والقِيَمِ بِصِلَةٍ ، ويصيرَ المنكرُ معروفاً والمعروفَ منكراً.. وصار أسعدُ الناس بالدنيا لُكَعُ بنُ لُكَعٍ.

وٱحتشدَ الأبناءُ والبناتُ تحت مظلةِ الأغلاطِ والاختلاطِ، ليستثمروا القلقَ والإحباطَ، عِلماً وتعلماً وإعلاماً وثقافةً وٱقتصاداً و حياةً ٱجتماعيةً، فَرِحِينَ بما لا ينبغي الفرحُ به، مستنكفينَ عما لا يصحُّ الاستنكافُ عنه، مندفعين إلى ما يَهْتِكُ الشرفَ والفضيلةَ ويحرقُ الزهراتِ الجميلةِ.. إنه سوقُ العرضِ والطلبِ، المتدرجُ من العلمانيةِ إلى العلمنةِ إلى العولمةِ، على الطريقِ الإجباريِّ أو الاتجاهِ الإجباريِّ المشار إليه "إِلَىٰ جُحْرِ الضَّبِّ".



---

١) البخاري (٣٤٥٦).

إِنْقَاذُ مَا يُمْكِنُ إِنْقَاذُهُ.. "الإِعَادَةُ لِرُبَاعِيَّةِ الأَرْكَانِ"

قد لا يتفقُ منا اثنانِ على هذا الأمرِ المطروحِ للمعالجةِ، فالإنقاذُ متنوعُ الوسائلِ كتنوعِ الحالاتِ، ولكنَّ الأملَ معقودٌ على النجاةِ بنجاحِ أساليبِ الإنقاذِ وليس وسائلَها ولا حالاتِها، فهناك أطواقٌ تحمل مسمى "طوقَ النجاةِ" وهي أولُ أسبابِ الغرقِ، وهناك حالاتٌ لا تقتضي مَدَّ الأطواقِ فيما يبدو للعينِ حيث تصبحُ في ساعةٍ ما بؤرةَ الهلاكِ والموتِ المحققِ.

وأفضلُ الأساليبِ ما أجمع العقلاءُ على سلامتِه ونجاحِ العمل بِهِ ، و"العقلاءُ" وصفٌ يصعبُ إسقاطُه على الكثيرِ ولو كانوا يستحقون ذلك .

إنَّ الإنقاذَ لما يُمْكِنُ إنقاذُه مبدأٌ إسلاميٌّ خالصٌ، وله علاقةٌ وطيدةٌ بقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: (... حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ ... الحديث)[1].

فلعلّ الكثيرَ يقفونَ عند عنوانِ الكتابِ ومحتواهُ ليُجَرِّدُوا القلمَ والدواةَ والقرطاسَ لإنقاذِ الناسِ من داءِ الكاتبِ وأفكارِه ، ويعملوا ما استطاعوا في سبيلِ تحجيمِ هذه الفكرةِ ومنازعةِ الناس في قبولِها لسببٍ أو لآخرَ، ولا غَرْوَ في ذلك. وما لا يريدُه الخالقُ لن يُكتبَ له النجاحُ وإن أرادَه الناسُ، وما رَضِيَهُ الخالقُ سبحانه كُتب له القبولُ وإن عارضه الناس.

فالنَّاسُ مِنْ دَأْبِهِمْ رَدٌّ بِلا سَبَبٍ   فَكَيْفَ إِنْ ظَهَرَتْ أَسْبَابُ مَا رَدَّا
وَكُلُّ مَا أَذِنَ الْمَوْلَىٰ بِهِ ظَهَرَتْ   عَلَائِمٌ بِقَبُولٍ زَادَهُ مَدَّا

والخويصةُ في الإسلامِ على معانٍ:

- خاصةُ الرجلِ وأهلِه وذويه
- خاصةُ الرجلِ وأهلِه وذويه ومحبِّيه وتلاميذِه
- خاصةُ الرجلِ وأهلِه وذويه وجلسائِه الموافقينَ
- خاصةُ الرجلِ وأهلِه وذويه ومَن في دائرةِ عملِه ووظيفتِه

---

١) أبوداود (٣٧٧٨). والحديث في المطلع النبوي للكتاب.

- خاصةُ الرجلِ وأهلِه وذويهِ وأهلِ مَحَلَّتِه وقبيلتِه وجنسِه

ويختلفُ الناس في مراتبِ الخويصةِ بمستويات التراتبِ الاجتماعيِّ والفكريِّ السائدِ.

وبهٰذه المعاني تُطرحُ قضيةُ الإعادةُ للركنيةِ الرابعةِ كإحدى وسائلِ الإنقاذِ لِمَا يمكنُ إنقاذه إنْ لم تكنْ أَوَّلَهَا وأساسَ المعالجة لها.

والإعادةُ ليست مجردَ ترويجٍ لفكرةٍ بلغتْ بصاحبِها حَدَّ الهَوَسِ والإعجابِ، وإنما هي مشروعُ حلٍّ متكاملِ الشروطِ لأولي الألبابِ.

والرفضُ للشيءِ طَبْعاً لا علاقةَ له برفضِ الشيءِ شرعاً، والحقُّ أحقُّ أَنْ يُتَّبَع.

ولأنَّنا في معرضِ الإنقاذِ لما يُمكنُ إنقاذُه نضعُ للراغبينَ من أمةِ القرآنِ والسنةِ مشروعَ الإعادةِ الواعيةِ بدءاً بوحدةِ رباعيةِ الأركانِ، ومروراً بدراسةِ العلاماتِ الكبرى والوسطى والصغرى، ونهايةً بالتعريفاتِ والعباراتِ الحاويةِ على مدلولاتِ القراءةِ النبويةِ للأزمنةِ والعصورِ الثلاثة:

الأولُ : عصرُ الرسالةِ والبعثةِ حتى الوفاةِ وٱنقطاعِ الوحيِ

الثاني : ما بعدَ ٱنقطاعِ الوحيِ إلى قيامِ الساعةِ

الثالثُ : من عَهْدِ البعثةِ وما سبقَها من مراحلِ التحوُّلِ إلى عهدِ آدمِ عليهِ السلامُ.

وقد تَناوَلْنا هذا التقسيمَ في كتابنا (الأُسُسِ والمُنْطَلَقَاتِ) فليُراجعْ..

ومهمةُ هذه الدراسةِ قراءةُ التاريخِ مرتبطاً بالديانةِ وليس منفصلاً عنها ، فالمادِّيون الملحدون والعِلْمَانِيُّون الكافرون والعَلْمَنِيُّون المندفعون والعَوْلَمِيُّون المتنفعونَ يقرؤُون التاريخَ قراءةَ أحداثٍ سياسيةٍ ووقائعَ إنسانيةٍ منفصلةٍ عن الله وأوامرِه ونواهيه وكُتبه ورُسلِه واليوم الآخرِ والقدرِ خيرِه وشرِّه . وإنْ آمنَ بعضُهم بشيءٍ من ذلك فإيمانٌ مشوبٌ بعُنصرَيِ الطبعِ والكفرِ المُؤَبْلَسِ[1] مما يُعيدُ القراءةَ مرة أخرى إلى تأليهِ المادةِ في الحياة، وتأليهِ العقلِ في الإنسانِ . والتأليهُ من وظائفِه رفضُ الغيبِ وما وراء الطبيعةِ وتفسيرُ ذلك بــ"علم الميتافيزقيا"، ثم

١) الكفر المؤبلس: نسبة إلى أول كافر في التاريخ وهو إبليس الرجيم.

إرضاخُ كلِّ شيءٍ للعقلانيةِ المجردةِ المرتبطةِ بالعلمانيةِ المشيّدَةِ(١).

والعلمانيةُ المشيَّدةُ كان لها الدورُ الفاعلُ في مجتمعاتِنا العربيةِ والإسلاميةِ بُعيدَ سُقُوطِ قرارِ الحكمِ الإسلاميِّ الواحدِ في أواخر العهدِ العثمانيِّ، بصرفِ النظرِ عن مسألةِ فسادِ الحكمِ أو عدالتِه، حيث سادَ في هذه المراحلِ عنصرُ التأثُّرِ الانفعاليِّ بحضارةِ المادةِ في الغربِ بعد ظهورِ مرحلةِ الثورةِ الصناعيةِ، وٱنساقَ المسلمونَ عموماً نحوَ هٰذه العلمانيةِ ٱندفاعاً وٱنتفاعاً حتى ٱحتوتهمُ المرحلةُ وطَوَتْ فيهم وفي أبنائِهم وبناتِهم "آثارَ داءِ الأممِ". وكانَ داءُ الأممِ ينخرُ في الواقعِ العربيِّ والإسلاميِّ مرحلةً بعدَ أخرى ، بِدءاً بنقضِ الحكمِ، ثم قبضِ العلمِ، ثم تقسيمِ الأرضِ وإعادة ترسيمِ حدودِها، ثم عزلِ المنهجيةِ الأبويةِ عن مواقعِ التربيةِ والتعليم لضمانِ صناعةِ جيلِ الخدماتِ.. عُمَّالِ المصانعِ ومندوبِي الشركاتِ المهيمنةِ على المقدَّرَاتِ، وإضعافِ علاقةِ هذه الشرائحِ المغلوبةِ بديانتِها الشرعيةِ وعِزَّتِها الإيمانيةِ، ليظهرَ دينُ النقضِ والقبضِ والصراعِ والنزاعِ المفتعلِ والمبرمجِ عالمياً.

إنها مؤامرةٌ بكلِّ المقاييسِ، ولكنَّ الضحايا لا يعلمون عن هذه المؤامرةِ شيئاً ما سِوى التصفيقِ والتأييدِ لحَمَلَةِ القصعةِ الدسمةِ رجاءَ الحصولِ على فُتاتِها المتناثرِ.

وواجبُنا الشرعيُّ أن نتحملَ مسؤوليةَ الإعادةِ للقراءةِ الشرعيةِ من واقعِ الكتابِ والسنةِ.. ونسألَ الديانةَ: هل فيكِ ما يَشفي الصدورَ ويشرحُ الواقعَ الموتورَ؟ أم أنّ هذا قضاءٌ وقدرٌ لا مناقشةَ فيه ولا حوارَ ولا مراجعةَ؟ والمناقشُ والمحاورُ والمراجعُ متعرضٌ لقضاءِ اللهِ وقَدَرِ اللهِ ، ومعترضٌ على أمرِ اللهِ في عبادِه.

إنَّ هٰذا الفهمَ الغريبَ عن القضاءِ والقدرِ هو أَحَدُ شِباكِ العلمانيةِ المسيَّسةِ لإحباطِ الأمةِ وتعطيلِ علاقتِها بالثوابتِ. بل هو جزءٌ من التحريفِ الذي يُصيبُ أمةَ القرآنِ والسنةِ في مراحلِ الغثاءِ والغلوِّ والجفاءِ.. وما أصيبتْ به الصدورُ في قرارِ الحكمِ وقرارِ العلمِ إلا بعدَ

---

١) العلمانية المشيدة: مجموع التركيبات العلمية القائمة على النظريات العلمية المنطلقة بعيداً عن الإيمان بالنبوة والوحي والعصمة والمعجزة.

عَزْلِهَا الأكيدِ عن دراسةِ القراءةِ التاريخيةِ المرتبطةِ بالديانةِ، أي: دراسةِ ثوابتِ الدين منفصلةً عن متغيراتِه، فظلَّ الجميعُ يعتقدون سلامةَ التديُّنِ حتى ولو كانوا وكلاءَ الشيطانِ في قَراري الحكمِ والعلمِ، فلغةُ القرآنِ والسنةِ لا تَصْمُتُ ولا يستطيع أحدٌ إخراسَها لأنها الورقةُ الشرعيةُ الأخيرةُ في العالمِ. إذاً فلابد من ٱحتوائها وتفريغِها وإدخالِها تحت المعطفِ العلمانيِّ المسيَّس، وتجهيزِ العملاءِ والوكلاءِ من مدارسِ القبضِ والنقضِ كي يُؤَدُّوا الدورَ العمليَّ والعلميَّ لإحداثِ التغييرِ ومن دون ضوضاءٍ ولا صخبٍ ولا حربٍ ولا قتالٍ ونَصَبٍ.. فكانتِ العلمانيةُ.. ثم أَوْلَدَتْ في المجتمعِ منهجيةَ العَلْمَنَةِ، وظلَّتْ حرةَ الحركةِ محميةَ المنطلقِ حتى برزتْ مرحلةُ العولمةِ.. وها هي العولمةُ تُدَمِّرُ كلَّ شيءٍ بأمرِ ربِّها.

إنَّ تفسيرَ الركنِ الرابعِ للدمارِ لا يعني رفضَ العلمِ والحضارةِ، وإنما رفضُ جعلِها "حصانَ طَرْوَادَة" لبلوغِ آمال ٱستعماريةٍ وفتوحاتٍ ٱستثماريةٍ، ولكي تُفْقِدَ المسلمَ البسيطَ والمواطنَ المُنْهَكَ قدرةَ الحصولِ على الطعامِ والشرابِ والمالِ والأعمالِ إلا بإذنٍ وإمضاءٍ من الشركاتِ المانحةِ والعقلياتِ الجامحةِ.

هاكُم مثلاً حَيّاً للعولمةِ.. وأسواقُ العرضِ والطلبِ تَفْتَحُ الأبوابَ على مصراعيها لإستثمارِ السواحلِ والبحارِ.. وهاهمُ الصيادونَ بوسائلِهِم الحديثةِ يقتلعون المصايدَ السمكيةَ من جذورِها ويحملون ما ٱقتلعوهُ في بواخرِهم ومراكبِهم نحو تحقيقِ المكاسبِ في أسواقِ المزادِ.. والمواطنُ المُتَنَقِّلُ بقدميهِ على ساحلِ البحرِ يتمنَّى سمكةً من بحرِ وطنِه وبلادِه، وإن حصل على شيءٍ من ذلك فبزيادةٍ في الأسعار، وعناءٍ في الانتظارِ.. وهذا مجردُ مثالٍ، أما الحقيقةُ المُرَّةُ فهي أشدُّ مرارةً من كلِّ عَلْقَمٍ.

والمواطنون يَدْفَعُ بعضُهم ببعضٍ كي يُفْسِدُوا علاقاتِهم بالنظامِ أو المجتمعِ مطالِبِينَ برخصِ الأسعارِ وتحقيقِ المطالبِ، والنظامُ يستشعرُ الثورةَ والاستفزازَ مع كلِّ جريمةٍ ٱقتصاديةٍ يتجرعُها المواطنُ الملتاعُ ، فلا هو حَقَّقَ الاستقرارَ ولا هو ٱمتلكَ أَزِمَّةَ القرارِ.. إنها العولمةُ.. "سياسةُ الشيطانِ في بني الإنسانِ".

قال لي بعضُهم: لقد أزعجتُم الشيطانَ بتحميلِه كافةَ المسؤولياتِ، وتَنَصَّلْتُمْ بهٰذا عن مسؤولياتِكم المناطةِ بكم، ورَكَنْتُمْ إلى تبريرِ الخطأِ وإلصاقِه بالمخلوقِ اللامرئي، وهذا تَخَلُّفٌ وجاهليةٌ. والإجابةُ الواعيةُ تُساءِلُنا جميعاً: هل الشيطانُ مخلوقٌ حقيقةً أم مجردُ وَهَمٍ؟ فإنْ قيلَ: الشيطانُ مخلوقٌ حقيقيٌّ، إذا فلابد من التعرُّفِ على هُوِيَّتِهِ ونشاطِهِ وسياستِه وقدراتِه وما تهيأَ له من الوسائلِ والأسبابِ لإنجاحِ مشاريعِه. وأما إن كان مجردَ وَهَمٍ فالوَهَمُ غيرُ الحقيقةِ، والحالمون في بحارِ الخيالاتِ والتهيؤاتِ همُ الفاشلون حقاً في الحياتين.

فأين الجواب الحقُّ؟ إنه الإيمانُ بوجودِ المخلوقِ العاتي "هيمنةِ الشيطانِ" ، وأنَّه في هيمنتِه عدوٌّ للآدميةِ.. ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ [طه:١١٧]. والعدوُّ من صفتِه الخيانةُ والاعتداءُ والاجتثاثُ.. ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر:٦]، فمَن هٰذا الذي ٱتخذَ الشيطانَ عَدُوّاً لَدُوداً، ومتىٰ بدأتْ في أمةِ القرآنِ والسنةِ سياسةُ النفيِ للمخلوقِ اللامرئي؟

إنَّ هذه السياسةَ كانتْ منتشرةً في غيرِ المسلمين من أهلِ الإلحادِ والماديةِ المجردةِ، أو في المسلمين الذينَ لا يقرؤُون دينَهم ولا قرآنَهم ولا يأتمرونَ بالمعروفِ ولا ينتهونَ عن المنكرِ ممن ٱندرجوا تحت سياسةِ الاستتباعِ. أما المسلمونَ المؤمنونَ فيعلمون أنّ وعدَ الله حَقٌّ، وأن الوجودَ مليءٌ بالخَلقِ، وأنَّ الشيطانَ مخلوقٌ متمردٌ على الله كافرٌ به متربصٌ بنا منذ عهدِ بدءِ الخليقةِ إلى يومِ يُنْفَخُ في الصورِ.. ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ ﴾ [ص:٧٩-٨١].

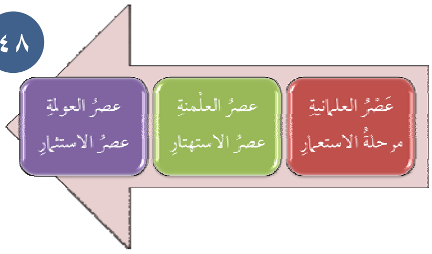
إذاً كيف نتعلم أثر الشيطان وموقعه من حياة البشرية؟

إنَّ موقع العلم به وبأخباره هو فقه التحولات ومادة الركن الرابع من أركان الدين ومؤيد هذا المعنى من القرآن والسنة.

فالانحراف بكل صُوَره، في تاريخنا الإنساني عموماً وتاريخنا الإسلامي خصوصاً، مكسب من

مكاسب الشيطان يعمل على تحقيقه وإنجاحه ليل نهار.. ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦]. وللشيطان صولة وهيمنة على الكافر قبل المسلم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:٨٣]، لأنَّ الكفر كما سبقت الإشارة عقيدة الشيطان ولا ذنب أعظم من الكفر، ولهذ ولع وكلاء الشيطان في أمة القرآن بإلصاق تهمة الكفر والشرك بالشبهات على كثير من المسلمين فحموا بذلك ودافعوا عن الكفر الإنساني في اليهود والنصارى وأمم الإلحاد والإفساد العقدي أجمعين، وجعلوهم أولياء لهم من دون الله يتقربون إليهم ويُقلِّدونهم ويسوِّقون بضائعهم وثقافاتهم وأفكارهم وهوياتهم وغواياتهم وألاعيبهم، حتى موضات نسائهم وبناتهم، ويُعجبون كل الإعجاب بهم وبأخبارهم وأحوالهم وبلادهم، فهم لرجالهم أسوة ولنسائهم قدوة، والشواهد على هذا لا تحتاج إلى أدلَّة ولا براهين، وإنما تحتاج إلى قراءة الواقع الإسلامي والعربي المشين.. وكل هذا من عمل الشيطان في الشعوب.. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف:٥٠].

إنَّ فقهَ التحولاتِ كفيلٌ بإبرازِ العلمِ المكنونِ، وإظهارِ الحقيقةِ التي سَكَتَ عنها الأولون، ووضعِ الأمورِ في نصابِها ، والدخولِ إلى المعالجة من أبوابِها.. ولله في خلقِه شؤونٌ.. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].



مَاذَا بَعْدَ ٱلعَوْلَمَةِ عَلَىٰ ضَوْءِ دِرَاسَةِ ٱلرُّكْنِ ٱلرَّابِعِ؟

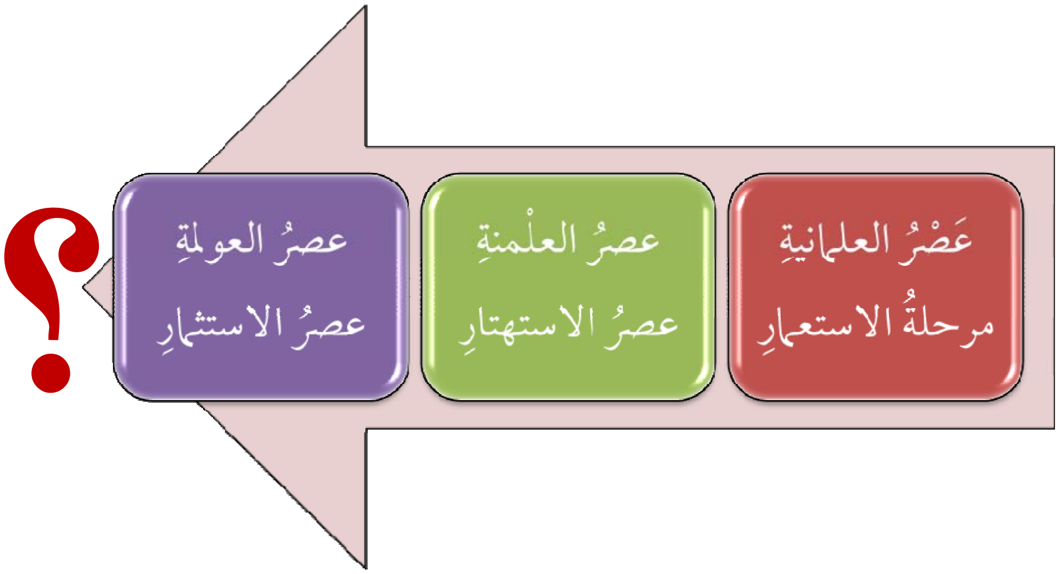
إنَّ مِن مهماتِ الركنِ الرابعِ من أركانِ الدينِ وقراءةِ تفاصيلِ عِلمِه وأدلتِه كشفُ الحقائقِ المغيَّبةِ عن عقولِ المسلمين، وخاصةً ما يتعلقُ بكيدِ الشياطينِ وأضاليلِ المفسدين في أمرِ الدنيا والدينِ، حتى لا يُصابَ المرءُ يومَ يلقى ربَّه بالإحباطِ الذي لا علاجَ له ، والفشلِ الذي لا نجاحَ بعده.

فكما قسَّم فقهُ التحولاتِ مسيرةَ العصرِ الغثائيِّ إلى ثلاثة أقسام:

عَصْرُ العلمانية - مرحلةُ الاستعمارِ

عصرُ العلْمنةِ - مرحلة الاستهتارِ

عصرُ العولمةِ - مرحلة الاستثمارِ



فإنه يضعُ للإسلامِ الحقِّ قِسماً واحداً لا يتعددُ ولا ينفصمُ ولا ينفصلُ.. إنه مسمَّى "العالميّـةِ".
والعالميةُ من صفتِها الثباتُ وعدم التبدلِ والتبديلِ في القواعدِ والثوابتِ، وإنما يعتريها التبدلُ في الوسائلِ والآليَّاتِ. وإذا ما ضَعُفَ المسلمون عن معرفةِ وتطبيقِ ودراسةِ عالميتِهمُ الشرعيةِ فإنما يعودُ ذلك لسياسةِ الاستحواذِ التي عَبَّر عنها القرآن بقوله: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ

ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾. [المجادلة:١٩]. وعالميتُنا الإسلاميةُ قائمةٌ بالكتابِ والسنةِ، وعلمانيةُ الكفرِ وما تلاها قائمةٌ بالشرعيةِ الدوليةِ، وهذا ما يجبُ تفصيلُه.

فهناك شرعيةٌ دوليةٌ قائمةٌ على سياسةِ التداولِ السياسيِّ للسلطةِ.. ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]. وهنا في الإسلامِ شرعيةٌ عالميةٌ قائمةٌ على الوحيِ والرسالةِ..

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾

[الجاثية:١٨].

وخَلْفَ الشرعيةِ الدوليةِ دجاجلةٌ ودجلٌ ودجالٌ ورجالُ مالٍ وأعمالٍ، منهم من يَعْلَمُ بوظيفتِه ومنهم من لا يعلم شيئاً غير الاتباعِ والاستتباعِ. ومنهم في عالمنا الإسلامي والعربي قومٌ كثرٌ منفذونَ ومتنفذون، سواءً في قرارِ الحكمِ أو في قرارِ العلمِ. ولهم شؤونٌ وشأنٌ في عالمِ الشرعيةِ الدوليةِ. أما الشرعيةُ العالمية "عالميةُ الإسلامِ" فكتابٌ وسنةٌ وأخلاقٌ، وحَمَلَةٌ عُدُولٌ، وشعوبٌ مؤمنةٌ مسلمةٌ.

والعدولُ في عالميةِ الإسلامِ هُمُ المعنيّون بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يَحْمِلُ هَٰذَا العِلْمَ - بِأَرْكَانِهِ الأَرْبَعَةِ[1] - مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ)[2]. وبين عولمةِ الأممِ والشعوبِ وعالميةِ الإسلامِ في الأممِ والشعوبِ أمورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ومُتَشَابِهَاتٌ، (فَمَنْ ٱتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ ٱسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ)[3].

---

١) قوله بأركانه الأربعة لمجرد الإيضاح الذي لابد منه في ربط الحديث برباعية الأركان لأن كلمة الدين تعني "أركانه"، وهم في حديث أم السنة حديث جبريل أربعة أركان. وهذه الرباعية هي محور تناولنا كله.

٢) مسند الشاميين للطبراني (٥٨٤) ،

٣) مسلم (٢٩٩٦) .

هكذا يفسرُ فقهُ التحولاتِ مسيرةَ الحياةِ، ولا نجدُ تفسيراً لمسيرةِ الحياةِ التاريخيةِ الشرعيةِ في غيره سوى ما يُعرف في علمانيةِ الأبالسةِ بالتفسيرِ الماديِّ للتاريخ. ولأن التحديَ بين علمانيةِ الأبالسةِ وعالميةِ الإسلامِ أزليُّ المعركةِ ؛ فالتاريخُ الماديُّ المجردُ نِتَاجُ كُفْرِ الشيطانِ ومنهجُ مدرسةِ الماديةِ الكافرةِ الملحدةِ . أما التاريخُ الإنسانيُّ والإسلاميُّ والعربيُّ المرتبطُ بالديانةِ الشرعيةِ – ديانةِ النبوةِ والأخلاقِ والعبادةِ – فثمرةٌ واعيةٌ من الانقيادِ والاستسلامِ للأحكامِ الشرعيةِ.. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩].

إذاً والأمرُ كذلك ـ وعالميةُ الإسلامِ تقرأُ التاريخَ مرتبطاً بالديانةِ ـ فأين موقعُ المستقبلِ بعدَ مرحلةِ العولمةِ المهيمنةِ اليومَ؟

إنه أمرٌ يصعبُ الإفصاحُ عنه والتبيينُ، ليس لأنه غيرُ معلومٍ وإنما لكونه يعودُ بنا إلى مقولةِ أبي هريرةَ رضي الله عنه: (فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ لَقُطِعَ مِنِّي هَذَا الْبُلْعُومُ)[1]، وقطعُ البلعومِ إما بالسيفِ وإما بضرورةِ الصمتِ ٱختياراً أو إجباراً.

فهل كان أبو هريرةَ معذوراً في صمتِه؟ وهل صَمَتَ أبو هريرة وحدَه أم صَمَتَ أيضاً كبارُ الصحابةِ وأئمةُ آلِ البيتِ؟ وإذا ما صَمَتُوا في عهد العالميةِ الأولى والألويةُ الإسلاميةُ معقودةٌ، فعذرُنا واضحٌ في صمتِنا فيما يجب فيه الصمتُ، حيث لا عالميةَ للإسلام ولا ترى له ألويةً معقودة وإنما هناك مجالٌ لإبرازِ ما يمكنُ إبرازُه بالإجمالِ . ومن هذا الإبرازِ ما قرَّره فقهُ التحولاتِ من موعوداتِ المستقبلِ وما أُطلقَ عليه في قاموسِ التعريفاتِ: "مرحلةُ الاستعمارِ، والاستهتارِ، والاستثمارِ". ونحنُ اليومَ في أَوْجِ متناقضاتِها ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم:٤-٥]. ومن مشيئتِه العليا بعدَ ٱنقضاءِ أمرِه في عبادِه أَنْ تَدخُلَ الأمةُ – وقد كادتْ –

---

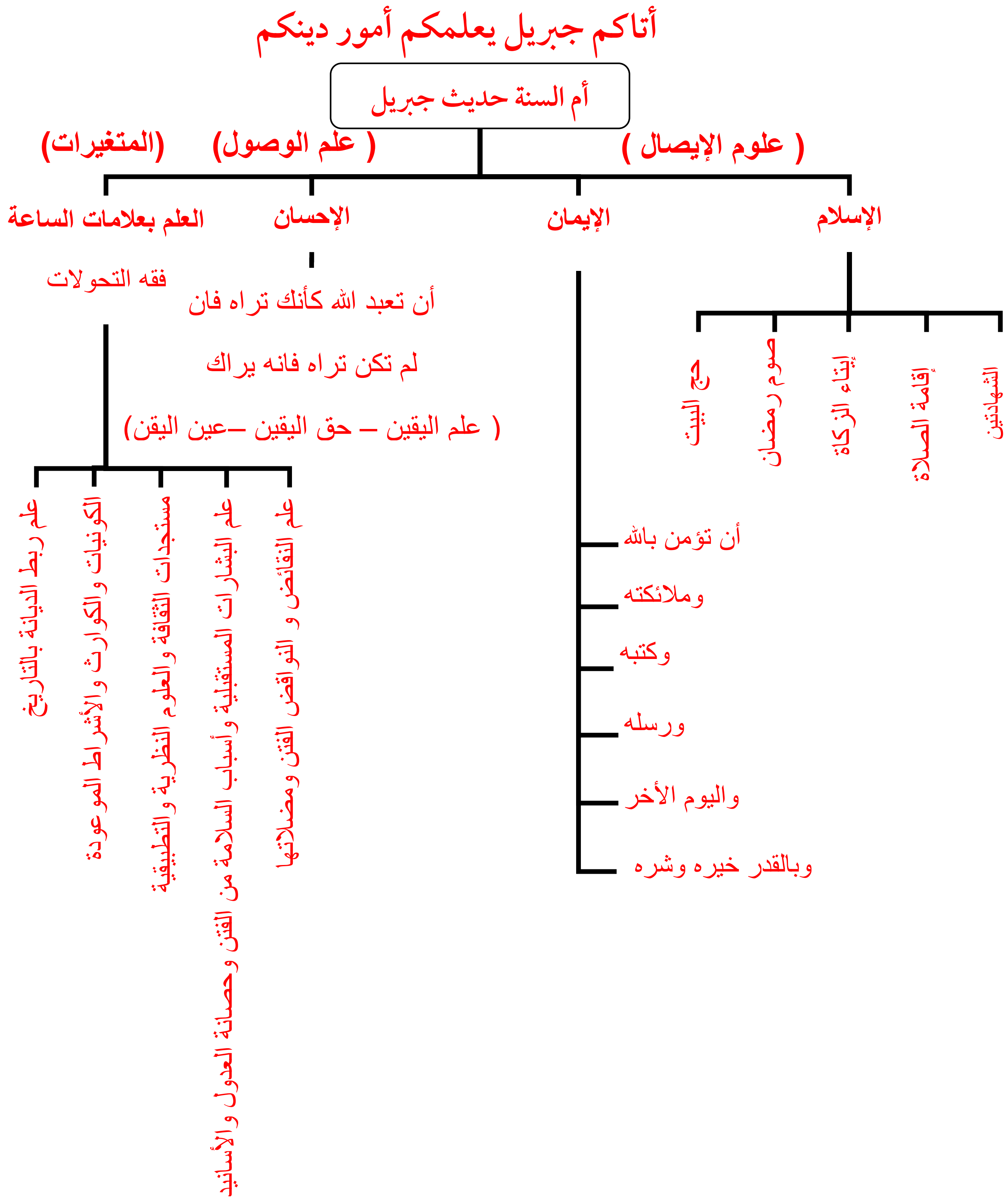
١) البخاري (١١٧).

إلى مرحلةِ "الاستنفارِ"، وهي مرحلةٌ مجهولةُ العددِ الزمنيِّ، لا يَعْلَمُ مقدارَها إلا بارئُ الأرضِ والسماواتِ، لِتَلِيَهَا على مدىً معيَّنٍ "مرحلةُ الاستقرارِ"، وتنقطعُ المرحلةُ المستقرةُ بعيسى عليه السلام وانتقالِه إلى عالمِ ربِّه، لتبدأَ "مرحلةُ الانحدارِ" ثم "الانهيارِ"..

وسبحانَ مقلِّبِ الليلِ والنهارِ،﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران:١٣].. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢].



رسم الوحدة الموضوعية لرباعية الأركان



إجمال المفصّل

المطلع القرآني

المطلع النبوي

شاهد الحال

الإهداء

وجه التناول

مفهوم الإعادة

العلوم الشرعية المرتبطة بالركنية الرابعة

تفصيل مراتب علم الإيصال (وسائل التعبد ومسائل الإيمان)

تفصيل مراتب علم الوصول (مقامات التحقق وثمرات الأعمال)

تفصيل علم النواقض والنقائض (المتغيرات والتحول)

تفصيل مراتب علم معالجة شوؤن الحياة (النظريات وآليات التطبيق)

الوحدة الشرعية لأركان الدين الأربعة

سنتي المواقف والدلالة وعلاقتهما بالركن الرابع

ربط الديانة بالتاريخ وعلاقة ذلك بالركن الرابع

تعريفات فقه التحولات وعلاقتها برباعية الأركان:

إعذار الأئمة السابقين في عزلهم الركن الرابع من أركان الدين

قضيتنا كأمة مرهونة بدراستنا الواعية للركن الرابع

فقدان القرار، فقدان الهوية، فقدان الكرامة، فقدان الأجيال

إنقاذ ما يمكن إنقاذه.. "الإعادة لرباعية الأركان"

ماذا بعد العولمة على ضوء دراسة الركن الرابع؟

هذا الكتاب:

●إطار علمي جديد يجمع في جوانبه "رباعية الأركان للديانة" وبمسميات ذات علاقة مباشرة بالوحدة الموضوعية لحديث جبريل، وما ترتب على دراسته الشرعية من تعريفات مستجدة تكمل النقص الأصولي المتداول، وتعالج الصراع الفكري المتناول.

●يتناول الكتاب إعادة اللحمة الشرعية في معالجة شؤون الديانة والدنيا من قواعد شرعية متداخلة لا ينفك أحدها عن الآخر ولا تُدرس منفصلة عن بعضها البعض باعتبارها الطرح النبوي الأساس في عهده عليه الصلاة والسلام من جهة، وباعتبار الوحدة الموضوعية في سياق حديث جبريل عليه السلام المعروف بـ"أم السُّنة".

●هذه الدراسة الشرعية الواعية تنفي الفصل بين بدعة الدين وبدعة الدنيا، وتعالج مفهوم الإستنباط السلبي من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (أنتم أعلم بشؤون دنياكم) بما يتناسب مع النبوة في رعاية أمري الحياة الدنيوية والأخروية، وتضع العبارة النبوية في موقعها الصحيح من شريعة الإسلام.. كما تتناول تحليل مفهوم السلبية وثمراتها المرحلية من هذا الفصل المتعمد وما آلت إليه الأمة الإسلامية نتيجة الفهم الخاطئ للنصوص.

●تربط تاريخياً بين قراءة التاريخ مربوط بالديانة، وتنفي سياسة الفصل بين دراسة التاريخ الإنساني منفصلاً عن النصوص السماوية والنبوءات الشرعية، كما تعيد قراءة "التاريخ والديانة" من واقع النص القرآني والحديثي لا من واقع الأحداث ومجريات التحول البشرية وتحليلاتها العقلانية المجردة.

●تعزز الدراسة ما سبق دراسته في كتب "فقه التحولات" وسُنتيه "الدلالة والمواقف" وعلاقتها بفقه الدعوة إلى الله كظاهرة شرعية تطبيقية كانت قاعدة العمل المتدرج في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، سبقت علم الأصول استنباطاً وسبقت عهد التدوين زمناً، وتربط بين هذا العلم المسكوت عنه وبين "الدعوة إلى الله" بشروطها الشرعية الأساسية مع تحييد نماذج "الدعوة السلبية المصطبغة بالصبغة السياسية" ووضعها في مكانها المناسب وفق النصوص الشرعية.

قاموس الدوائر

دوائر الإعادة : مناقشات وأطر علمية لإعادة ترتيب المعرفة

مراتب الإفادة : درجات التفصيل المفيدة لشرح الأفكار

الرباعية الشرعية: قراءة أركان الدين الأربعة مجتمعة

المطلع القرآني: الاقتباس الإشاري للتفاؤل بكتاب الله جل جلاله

المطلع النبوي : الاقتباس الإشاري للتفاؤل بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

شاهد الحال : تقرير الحقيقة المعاشة بدليل ناطق

الإحباط : الشعور بالفشل

الأغلاط : كثرة الكذب والخداع والتضليل

قاموس وجه التناول

المكنونات : أسرار ما خلق الله في العالم ولم يعرف معناه

الملك : عالم الأرض

الملكوت: عالم السماء

نقطة الانطلاق : مبدأ العلوم وأساسها

علوم الإبلاغ : ما يخص الدعوة إلى الله من علم وقواعد

علوم البلاغ :ما يخص الداعي إلى الله من علم وقواعد

العدول : رجال الحصانة الشرعية والسند المتصل

تحريف الغالين : زيادات المفرطين الجافين

انتحال المبطلين : الإضافة المصنعة من أهل البطالة والتسييس

تأويل الجاهلين : التفسير العقلاني ، والتعليل النفساني القائم على الفهم الذاتي

مرتكزات العلوم : أصول المعرفة الشرعية

جديد التناول : أي حديثة عهد بالتفصيل والتحليل

غريبة التواصل : أي ذات سند متصل عريق متسلسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وحدة الحديث الموضوعية : وظيفة المادة الحديثية في النص الواحد المتكامل

تجديد وسائل التعليم :أي ابتعاث أصول المعرفة القرآنية للطلاب من جديد

تجديد وسائل التزكية : أي ابتعاث أصول التربية الأخلاقية للطلاب من جديد

العلوم النظرية : قوانين الحركة وقواعد العلوم الحديثة

العلوم التطبيقية : ما يطبق على الواقع العملي من قوانين وقواعد المعرفة النظرية

ربطها بالديانة : أي البحث عن موقع الإشارة إليها في نصوص الديانة

كشف انحرافات الأوعية : إزاحة الغموض عن الخطأ المتعمد في حملة العلم ومبلغيه

فساد أساليب المعالجة : العلل المنصوص عليها في وسائل الدعوة والبلاغ

علم النقائض:علم الصراع القائم على الإثارة و التحريش والمنافسة

علم النواقض : علم فساد الأعمال والتشكيك في الثوابت والطعن واللعن

قاموس مفهوم الإعادة

الثمرات العلمية المكتوبة :حصيلة ما كتبه المؤلفون والباحثون والعلماء المذهبيون

التدقيق الواعي : المتابعة القائمة على سلامة التلقي والمراجعة

تأصيل الرباعية : إعادة أركان الدين المدروسة إلى أصولها النصية

وحدة شرعية واحدة : تماسك نصّ واحد

أم السنة : اصطلاح أصولي لحديث جبريل عليه السلام

قاموس الشرعية المرتبطة بالركنية الرباعية

الشرعية : المواضيع المرتبطة بالنص القرآني أو الحديث النبوي

علوم الثوابت : علوم بناء العقيدة والشريعة ومراتب السلوك

علوم المتغيرات : فقه التحولات وعلوم الساعة

مراتب علم الإيصال : درجات التلقي في وسائل الثوابت

مراتب علم الوصول : درجات الترقي في علوم الإحسان

مرتبة الصديقية : اعل المراتب المنعم بها على المسلم في علوم الديانة

علم معالجة شؤون الحياة : كل ما يجب فيه تدخل العقل الإنساني تعليلاً وتفصيلاً ودراسة وتطبيقاً

سنة المواقف : ما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه من تصرف ذاتي لحسم مشكلة أو كتم سراً وإظهار علامة تتعلق بعلامات الساعة ..

سنة الدلالة : ما ينطوي على إشارة أو بشارة أو تأصيل عمل لم يثبت العمل به لدى علماء الأصول لعلة قادحة ..

قاموس تفصيل مراتب علم الإيصال

مراتب العلم : وسائل التلقي

عهد التدوين : مرحلة جمع الأحاديث والآيات وتدوينها وبدء وضع أسس علوم الأصول المذهبية

عهد الغثاء الموعود: المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (أنتم غثاء كغثاء السيل)

غياب الحقائق :الانفصام بين (العلم والعمل به) (والتربية ورموزها)(والديانة ووظائفها)

المدرسة الحديثة المسيسة :مدارس المنهجية الاستعمارية والاستهتارية والاستثمارية في العالم العربي والإسلامي .

الجيل الموجه: الجيل المجهز رسمياً لعلوم الخدمات المجردة

ثمرات علم المتغيرات : ما يبني شؤون الحياة وحدها وما يبث الصراع بين المصلين.

الهندسة الاستشراقية:سياسة الاستعمار في العالم

التحريش : دراسة وسائل إنجاح(فرق تسد)

المدارس الأبوية التقليدية : مدارس آل البيت والتصوف والمذهبية الإسلامية القديمة

حقائق العلمين : علم الثوابت وعلم المتغيرات

مرحلة الخلافة الإسلامية : ما قبل سقوط عبد الحميد الثاني الخليفة العثماني .

المنافسة : توظيف العوامل السياسية والقومية والقبلية لإثارة التغيرات

الحديثة المدعومة: المتبناة من حملة قرار العالم المعاصر

القديمة المذمومة: المنبوذة والمحاربة إعلامياً وثقافياً

قاموس مراتب علم الوصول

مقامات التحقق : علوم الإحسان العليا (علم اليقين عين اليقين حق اليقين)

ثمرات الأعمال : المشار إليها بحديث (ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ) - سبق شرحها .

مراتب ومقامات الصديقية: التفاوت الشرعي للأولياء والصالحين (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفصيلاً) – الإسراء –

انقطاع التحقق :فصل الدراسة المنهجيَّة بين التربية والتعليم الأبوي النبوي .

أهل الخمول والأفول : الخمول والستر المتعمد والأفول الضعف والتدرج في الانحسار.

تربية وتزكية : التربية تدريب المريدين على أعمال الطاعات ، التزكية حمل المريدين على سمو الأخلاق.

المدارس الإعلامية: القائمة على التنافس في الدرجات ونيل الشهادات والاستباق على الوظائف

الأجهزة الافلامية : منابر الدعاية والسعاية وترويج الأضاليل والأكاذيب

مخرجاتها المنهجة والمبرمجة : ثمراتها المنشورة على الشعوب بين سياسة العقول المدبرة وتنفيذ الأصابع المسيّرة .

الشوائب والافراطات : العيوب المنتقدة ، الجفاء والغلو .

الطرق الصوفية الميتـة : المنقطعـة عـن الدراسـة والبنـاء العلمـي الشرـعي الأبـوي النبـوي المنهج .

التوازن الاجتماعي : المعادلة المشروعة بين الأضداد

مدارس القبض والنقض: مدارس الإثارة و التحريش والمنافسة

العلمانية : تأليه العقل الإنساني مع مقت الديانة .

العلمنة : عقول المسلمين المتأثرة بالفكر العلماني .

العولمة : تطويع الجميع لسياسة الهيمنة الدولية

قاموس تفصيل علم المتغيرات

المتغيرات - علوم الساعة - فقه التحولات .

الركن الواجب – ما نص عليه الشارع وجوب العلم به وهي العلامات الكبرى

الركن اللازم – ما تلزم معرفته ومعرفة زمنه المتوسط بين العلامات

الركن المطلق – ما أطلق تحديد معرفته بالحياة الإنسانية كلها بـدءاً مـن آدم إلى قيـام السـاعة وهي العلامات الصغرى .

قاموس تفصيل علم النواقض والنقائض

النواقض – جمع ناقض وهو فك العرى المركبة بقادح مقبول

والنقائض - جمع نقيض وهو تثبيت الأمر المخالف وتأكيد سلامته بدليل يحتمله المعنى.

التحريش – وهو الإثارة المفضية إلى الصراع ومجالها القلم والفم

المنافسة – وهو المغالبة على الامتلاك والهيمنة على القرار أو أسبابه ومجالها القـرار وأسـباب الاستقرار.

التوسيد – دعم المخالف ووضعه في مكان القرار بديلاً عن صاحب الحق

تضييع الأمانة – مشتق من الإضاعة المتعمدة كثمرة من ثمرات التوسيد المسيس

القبض – وهو الاحتواء والمنع والانتقاء والإحباط

ومنه قبض العلم أي تحويله إلى مناهج منتقاة ومسيسة

ومنه قبض العلماء منعهم وتحييدهم عن التأثير والمشاركة

ومنه قبض الروح أي موت العلماء والصلحاء ..

ومنه إصابة العلماء بالإحباط والعزلة والانقباض النفسي

النقض – نقض المبرم من العبادات والعادات بقوادح مسيّسة

نقض قرار الحكم بالتعدي والمؤامرة والانقلابات

نقض العهود والاتفاقيات والعمل على إبطالها

نقض ضوابط وثوابت الشريعة كالميراث والطلاق والقيم بحجج عقلانية وضعية .

التداعي – تهافت الدول الكبرى وحلفاءها على الموارد والثروات

والوهن – الضعف النفسي وهبوط الإحساس بالعزة والكرامة الإسلامية .

أكلة القصعة – الشركات الاقتصادية القابضة والمانحة وما فوقها من أساطين الاقتصاد والسياسة الدولية .

الواقع المتحول – الحياة العربية والإسلامية المتحولة من شرف الأمانة والديانة الى سياسة الخيانة والعمالة في الثوابت العليا العلم والحكم ...

قاموس تفصيل مراتب علم معالجة شؤون الحياة (النظريات وآليات التطبيق)

الحق الإلهي في العباد – ما أمرنا الله به من مأمورات وما نهانا عنه من منهيات في العقيدة والشريعة ومراتب السلوك والقيم

علماء التوليفات الإنسانية الوضعية – علماء المادة المجردة من عالم الكفر والإلحاد..

المدلولات والمواقف – أي ما يستدل به على الانحراف ، وفي المواقف ما يبرز من السلوك في أهل الشر والفساد .

قاموس تفصيل مراتب علم البشارات وأسباب السلامة من الفتن وحصانة السند والعدالة في أوعية الحكم والعلم

البشارات جمع بشارة – وهي ما ورد النص بها من تنفس إيماني أو عودة إلى منهج الحق بسبب وآخر .

أسباب السلامة – ما ورد به نص من اتخاذ المواقف المانعة من الفتن .

حصانة السند والعدالة – ما ورد به النص لفظاً أو دلالة عن سلامة الأفراد والمراحل خلال مراحل التحول والفتن المضلة .

قاموس تفصيل مراتب علم الكونيات والكوارث والأشراط

الخسوفات – جمع خسف وهو ما نصت عليه أحاديث الساعة كالخسوف الثلاثة

الكوارث – جمع كارثة وهي الفواجع الجائحة كالأمراض والطوفان والأعاصير

الأشراط – أي العلامات التي نص عليها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنها العلامات الكبرى والوسطى والصغرى مما يخص التغير الكوني والكوارث والموعودات المستقبلية .

- ربط الديانة بالتاريخ – أي الجمع النصي بين حوادث الحياة ومجرياتها وما أثر عن الكتب السماوية والرسل عبر الأزمنة كلها .
- التاريخ الأنوي الوضعي – أي التفسير المادي للحياة على السنة الكفار والملحدين
- التكوين الآدمي – بدء الخلق وظهوره
- أنوية الشيطان – تجسيده مبدأ (أنا خير منه)
- منهجية النفاق التاريخي – تسلسل السياسة النفاقية في الخيمة الإسلامية على مدى التاريخ .

المراجع :

- القرآن الكريم .
- صحيح البخاري .
- صحيح مسلم .
- مسند أحمد .
- سنن أبي داؤود .
- سنن البيهقي .
- الأصول الأربعة .
- سنن الترمذي .
- الأسس والمنطلقات .
- المستدرك للحاكم .
- اتحاف الجماعة .
- معجم الطبري الكبير .
- سنن أبي ماجه .